رواية

روزا بيلا

كتابة:رغد اللطيف

كتابة: رغد اللطيف

"كِتَابٌ صَدَرَ عام 2024، لا يَجُوزُ نَشْرُهُ ورقيًّا أو إلكترونيًّا دونَ الحصولِ على الإذْنِ من المؤلِّف."

رواية

مُعْظَمُ الأَحْدَاثِ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ وَاقِعٍ حَقِيقِيٍّ."

"إذا لم تتركْ هذه الروايةُ أثرًا فيك وقتَ قراءتها، فلا داعيَ أن تُكمِلَها."

إهداء:

إلى مَنْ رافَقَتْني في مَسيرَتي الكِتابِيَّة، إلى مُلهِمَتي، وإلى مَنْ هِيَ أحَبُّ إلى قَلبي، إلى سَيِّدَةِ النَّاسِ وأفضَلِهُم، إلى والدَتي الحَبِيبَة، لَنْ أَنسى الوعودَ التي أخَذتُها على نَفْسي بأنْ أُهديها كلَّ كِتاباتي، ولَنْ أَنسى بأنَّها المُشجِّعَة الوحيدَة في طَريقي. رغم أَنَّني سَقَطْتُ كَثيرًا، فإنَّ دَعْمَها المُستمِرَّ لي جَعَلَنِي أَقُفُ مِن جَديد. هَذا الكِتابُ والعَمَلُ مُهَدًّى مِن رَغْد اللَطِيف إلى شَمْعَةٍ تُضيء حَياتي، فإنْ ذَهَبْتِ فَلا لُذَّةَ لِحَياتي. حَفَّظَكِ اللهُ وَرَعاكِ مِن كُلِّ سُوءٍ وَمَكْرُوهٍ يُصِيبُكِ.

المقدمة

مرحبًا، أنا روزا بيلا، وهذه هي رِوَايَتي. عَانَيْتُ كَثِيرًا حَتَّى نَجَوْتُ مِنْ عَائِلَتِي. طُفُولَتِي كَانَتْ أَشْبَهَ بِفَتَاةٍ صَغِيرَةٍ بُتِّرَتْ أَجْنِحَتُهَا وَهِيَ فِي بَدَايَةِ نُمُوِّهَا. تَعَرَّضْتُ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْمُعَانَاةِ وَالتَّحَدِّيَاتِ، وَلَكِنَّنِي فِي النِّهَايَةِ وَصَلْتُ إِلَى مَرْحَلَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ مِنَ النُّجُومِيَّةِ وَالشُّهْرَةِ. وَلَكِنْ كَيْفَ ؟ وَمَا هِيَ قِصَّتِي؟

روزا بيلا

كتابة: رغد اللطيف

(بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ)

"أَهْلًا بِكَ فِي رِوَايَتِي، عَزِيزِي الْقَارِئُ."

الجزء الأول:

طفولة

روزا بيلا

طفولتي:

خُلِقْتُ بِرِفْقَةِ أَخِي بَسَّامٍ وَهُوَ تَوْأَمِي. كَانَتْ طُفُولَتِي غَرِيبَةً، أَوْ لِنَقُلْ طُفُولَةً يَمْلَؤُهَا قِلَّةُ الْعَدْلِ. أَخِي بَسَّامٌ يَحْظَى بِدَلَالِ وَالِدَتِي دَائِمًا، بَسَّامُ الطِّفْلُ الْعَنِيدُ الَّذِي يَبْكِي وَيَحْصُلُ عَلَى مَا يُرِيدُ بِكُلِّ سُهُولَةٍ. كُنْتُ رُوزَا، الطِّفْلَةَ الَّتِي لَمْ تَحْظَ بِاهْتِمَامِ وَالِدَيَّ. كَانَ الِاهْتِمَامُ الْأَكْبَرُ مُوَجَّهًا إِلَى أَخِي بَسَّامٍ. كُنْتُ أُعَانِي مِنْ رَهْبَةِ الْكَوَابِيسِ، وَدَائِمًا عِنْدَمَا أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ أَسْتَيْقِظُ مُنْفَزِعَةً، تَتَسَارَعُ نَبَضَاتُ قَلْبِي بِقُوَّةٍ، أَسْتَشْعِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الْخَوْفِ وَالْأَلَمِ. أَرْكُضُ إِلَى غُرْفَةِ وَالِدَيَّ خَائِفَةً، غَارِقَةً فِي الظَّلَامِ. فِي يَوْمٍ كُنْتُ أَبْكِي لِأَنَّنِي رَأَيْتُ كَابُوسًا مُخِيفًا،ذَهَبْتُ إِلَى غُرْفَةِ وَالِدَتِي لَعَلَّهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْتَوِيَ هَذَا الْخَوْفَ الَّذِي يُحَاصِرُ جَسَدِي وَلَكِن...

وَجَدتُ بَسّام ينامُ في أحضانِ والدتي، تَغمُرُهُ بكُلِّ حُبٍّ وودٍّ إلى صدرِها. في تِلكَ اللحظةِ أصابَني شُعورٌ بالخَوفِ أكثر، لم أستَطِعِ الاقتِراب. أَنظُرُ إلَيهِما من بعيدٍ بعَينَينِ مَلِيئَتَينِ بالحَسرةِ والألَم، لم أستَطِع الذّهابَ إلى والدتي وإخبارَها بأنني خائفة. أَدرَتُ ظَهري، لا أعلَمُ أينَ أذهب، تَنهَمِرُ دُموعي على خَدّي، أَمسَحُها بِيَدَيَّ الصغيرَتَين، أَنظُرُ إلى الأَريكَةِ التي في الصالة. يَتَكَوَّمُ جَسَدي في مُنتَصَفِ الأَريكَة، أَغمُرُ رأسي في الوِسادَة، أَتَنَهَّدُ من شِدَّةِ البُكاءِ حتى غَلَبَني النُّعاسُ وغَفَوت.

دقَّت ساعاتُ المُنَبِّه وهي ساعاتُ الدَّوامِ لأبي وساعاتُ المدرسةِ لي ولأخي بَسَّام. أيقَظَتْنِي والدتي قائلةً: "روزا، ماما، لماذا أنتِ نائِمَةٌ هنا؟" كانت نَظَرَاتُها حادَّةً وكأنَّها تُرِيدُ أن تَصْفَعَنِي. نَظَرْتُ إليها بعَيْنَيَّ البَرِيئَتَيْن وقلتُ بصوتٍ خافِت: "كنتُ خائِفَةً في الأمس، رأيتُ كابوسًا مُخِيفًا." اسْتَهْزَأَت كعادَتِها وقالت: "إنَّهُ مُجَرَّدُ كابوس." في ظِلِّ حديثِ والدتي لم أركِّزْ فيما تقول، كانت عَيْنَايَ تَنْظُرَان إلى بَسَّام وهو نائمٌ على سَرِير والدتي. وأنا سارِحَةٌ وشَارِدَةٌ وكأنَّ هناك صَوْتًا يقول: "روزا." أيقَنْتُ حينها أنَّ والدتي تَتَحَدَّثُ معي، في الحقيقةِ لم أشعُرْ بصَوْتِها. قالت لي بصَوْتٍ مُرْتَفِع: "أين أنتِ شَارِدَة؟ أنا أتحدَّثُ إليكِ! اذْهَبي هيّا لِتُحَضِّرِي نَفْسَكِ للمَدْرَسَة، بعد نِصْفِ ساعةٍ ستأتي الحافِلَةُ لأخْذِكِ، أنتِ فقط." قلتُ لها بكُلِّ حُزْن: "ماما، وبَسَّام؟"

رَدَّتْ قَائِلَةً: "بَسَّامٌ مَرِيضٌ مُتْعَبٌ، سَأَعْذِرُهُ الْيَوْمَ عَنِ الْمَدْرَسَةِ." أَصَابَنِي السُّكُوتُ، لَمْ أَقُلْ شَيْئًا، وَلَكِنَّ عَيْنَيَّ قَالَتَا كُلَّ شَيْءٍ. سَحَبَتْنِي وَالِدَتِي مِنْ يَدِي وَغَسَلَتْ وَجْهِي، وَارْتَدَيْتُ ثِيَابَ الْمَدْرَسَةِ . فِي هَذَا الْيَوْمِ كَانَ الْبَرْدُ يَمْلَأُ الْمَكَانَ، وَقَفْتُ أَمَامَ مَنْزِلِي أَنْتَظِرُ الْحَافِلَةَ. جَلَسْتُ عَلَى عَتَبَةِ الْمَنْزِلِ أَنْتَظِرُ، جَاءَتِ الْحَافِلَةُ، صَرَخَتْ وَالِدَتِي: "رُوزَا، أَسْرِعِي!" رَكَضْتُ مُسْرِعَةً إِلَى بَابِ الْحَافِلَةِ، جَلَسْتُ بِجَانِبِ النَّافِذَةِ. كُنْتُ أَرَى مَنْزِلِي مِنَ النَّافِذَةِ الصَّغِيرَةِ، يَصْفَعُنِي الْهَوَاءُ الْبَارِدُ بِقُوَّةٍ، يُجَمِّدُ أَطْرَافِي. رَأَيْتُ فَرَاغًا أَمَامَ مَنْزِلِي، لِمَاذَا لَمْ تَقِفْ وَالِدَتِي أَمَامَ الْمَنْزِلِ لِتَنْظُرَ إِلي كَمَا تَفْعَلُ عِنْدَمَا أَكُونُ أَنَا وَبَسَّام؟

وَصَلْتُ الْمَدْرَسَةِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ أَخِي بَسَّامٍ مُؤْذٍ وَمُشَاكِسٌ جِدًّا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ الرَّفِيقَ الْوَحِيدَ لِي فِي هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ، فَأَنَا لَمْ أَحْظَ بِرِفْقَةِ أَحَدٍ. جَلَسْتُ وَحْدِي فِي آخِرِ مَقْعَدٍ، بَسَّامٌ لَمْ يَكُنْ بِجَانِبِي. كَانَ يَوْمِي حَزِينًا جِدًّا، لَمْ أَتَنَاوَلِ الطَّعَامَ الَّذِي وَضَعَتْهُ وَالِدَتِي لِي فِي صُنْدُوقِي. مُعَلِّمَتِي نَسْرِينُ لَاحَظَتْ عَدَمَ مُشَارَكَتِي مَعَهَا وَقَالَتْ: "رُوزَا، أَيْنَ أَنْتِ شَارِدَةٌ؟ لَا أُرِيدُ أَنْ يَتَكَرَّرَ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى لَا أُخْبِرَ وَالِدَيْكِ بِأَنَّكِ لَا تَهْتَمِّينَ بِالدِّرَاسَةِ." عِنْدَمَا قَالَتْ "وَالِدَيْكِ"، شَعَرْتُ بِالرَّهْبَةِ الْكُبْرَى، بَدَأْتُ بِالتَّرْكِيزِ مَعَ مُعَلِّمَتِي نَسْرِينُ الَّتِي تَغْمُرُنِي دَائِمًا بِعَطْفِهَا وَحَنَانِهَا، وَالَّتِي بَحَثْتُ فِيهَا عَنْ حُبِّ وَالِدَتِي الَّذِي لَمْ أَحْظَ بِهِ. كَانَتْ مُعَلِّمَتِي نَسْرِينُ تَغْمُرُنِي كَثِيرًا، وَكُنْتُ أَكْثَرَ طِفْلَةٍ فِي الْفَصْلِ قَرِيبَةً مِنْهَا، رَأَيْتُ بِهَا الْأَمَانَ، كَانَتْ تُعْطِينِي مَا حُرِمْتُ مِنْهُ.

وَصَلْتُ إِلَى الْمَنْزِلِ بَعْدَ عَنَاءِ يَوْمٍ كَامِلٍ، وَجَدْتُ وَالِدَتِي وَبَسَّامٍ يَتَنَاوَلَانِ الْغَدَاءَ، وَالِدَتِي: "مَامَا رُوزَا، اغْسِلِي يَدَيْكِ وَغَيِّرِي ثِيَابَكِ وَاجْلِسِي لِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ." أَجَبْتُ: "حَاضِرٌ، مَامَا." جَلَسْتُ بَعْدَمَا انْتَهَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، رَأَيْتُ أَمَامَ بَسَّامٍ طَبَقًا مَلِيئًا بِالنُّودِلْزِ وَهِيَ الْأَكْلَةُ الْمُفَضَّلَةُ لِي وَلِبَسَّامٍ. أَمَّا الطَّبَقُ الَّذِي أَمَامِي فَكَانَ طَبَقًا مِنَ الْأَرُزِّ وَالدَّجَاجِ الْمَشْوِيِّ. كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى طَعَامِ بَسَّامٍ، اشْتَهَيْتُ النُّودِلْزَ الَّذِي فِي طَبَقِهِ، وَلَكِنَّنِي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْهُ.

انتَهَيتُ مِنْ الطَعام، لاحَظَتْ وَالدَتِي قِلَّةَ أَكْلِي. الأَرُزُ وَالدَّجَاجُ يَمْلَآنَ الطَّبَقَ. قَالَتْ وَالدَتِي: "روزا، لَمْ يَعْجَبْكِ الطَّعَام؟" أَجَبْتُ: "أَعْجَبَنِي، وَلَكِنِّي لَسْتُ جَائِعَةً." قَالَتْ: "هَلْ تَنَاوَلْتِ صَنْدُوقَ الطَّعَامِ الَّذِي وَضَعْتُهُ فِي حَقِيبَةِ الدِّرَاسَة؟" أَجَبْتُ: "لا، لَمْ أَتَنَاوَلْهُ." صَرَخَتْ وَقَالَتْ: "لِمَاذَا لَمْ تَتَنَاوَلِي طَعَامَكِ الْيَوْمِ؟" كَانَ بَسَام يَنْظُرُ إِلَيَّ وَيَبْتَسِمُ. عِنْدَمَا رَأَيْتُ ابْتِسَامَةَ أَخِي بَسَام، لَمْ أَكْتَرِثْ لِصَرَاخِ وَالدَتِي. عُدْتُ إِلَى تَنَاوُلِ الأَرُزِ وَالدَّجَاجِ وَأَنَا وَبَسَام نَتَبَادَلُ النَّظَرَاتِ وَالابْتِسَامَاتِ عَلَى صَرَاخِ وَالدَتِي، نَسِيتُ مَا حَدَثَ.

مرَّ العمر بنا:

كَبُرْنَا أَنَا وَأَخِي بَسَامُ وَأَصْبَحْنَا نَاضِجِينَ. أَصْبَحَ صَوْتُ بَسَامِ خَشِنًا وَتَغَيَّرَ شَكْلُهُ، وَأَصْبَحْتُ أَنَا الْفَتَاةَ الْجَمِيلَةَ، كَانَتْ عَيْنَايَ خَضْرَاوَيْنِ وَبَشَرَتِي بَيْضَاءَ، كُنْتُ ضَعِيفَةَ الْوَزْنِ، وَحَقًّا جَمِيلَةً. فِي عُمُرِ السَّابِعَةِ عَشَرَةَ، بَدَأَ بَسَامُ يُدَقِّقُ فِي مَلَابِسِي وَتَحْرُكَاتِي وَخُرُوجِي، وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّضَ شَخْصِيَّتَهُ وَسَيْطَرَتَهُ الْكَامِلَةَ. تَغَيَّرَ بَسَامُ لِلْأَسْوَأِ، وَجَعَلَ حَيَاتِي مَلِيئَةً بِالْمُمْنَوعَاتِ، بَدَأَ يُقْتِلُنِي بِسِيطَرَتِهِ. لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِي، شَعَرْتُ بِالْكَرَهِ الشَّدِيدِ وَالْكَبِيرِ لِأَخِي بَسَامِ. كُنْتُ رُوزَا الْفَتَاةَ الْعَنِيدَةَ، لَا يَهُمُّنِي رَأْيُ أَخِي بَسَامِ، وَلَمْ أُسَمِّحْ لَهُ بِفَرْضِ سَيْطَرَتِهِ الْكَامِلَةِ. كُنْتُ دَوْمًا كَثِيرَةَ الصَّرَاخِ وَالْبُكَاءِ، وَلَكِنَّ فِي النِّهَايَةِ انْطَفَأْتْ وَكَأَنَّنِي اسْتَسْلَمْتُ لِهَذَا الظُّلْمِ الَّذِي أَعِيشُ فِيهِ تَحْتَ رَحْمَةِ أَخِي وَعَائِلَتِي الَّتِي وَضَعَتْ بَسَامَ فِي طَرِيقِي لِيُؤْذِيَنِي بِصَرَاخِهِ، وَضَرْبِهِ الْمُتَكَرِّرِ لِي. أَصْبَحْتُ فِي حَالَةٍ يُرْثَى لَهَا، مُصَابَةً بِالِاكْتِئَابِ، وَجَلَسْتُ تَحْتَ سَيْطَرَةِ وَظُلْمِ أَخِي بَسَامِ، وَظُلْمِ أَبِي الَّذِي يُؤْذِينِي دَوْمًا بِكَلَامِهِ الْحَادِّ وَالْجَارِحِ. أَمَّا وَالِدَتِي، فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَحْتَوِيَنِي بِحُبِّهَا وَأَمَانِهَا الَّذِي أَرَدْتُهُ بِشِدَّةٍ، كَانَتْ قَادِرَةً عَلَى إِعْطَاءِ حُبِّهَا وَحُنَانِهَا لِأَخِي بَسَامِ، بَيْنَمَا كَانَتْ تُعْطِينِي دَوْمًا الْأَذَى وَالْإِهْمَالَ الْمُتَكَرِّرَ.

الجزء الثاني

في ليلة ظلماء:

روزا بيلا

كتابة:رغد اللطيف

في ليلة ظلماء:

أَسْتَمِعُ مِنْ خَلْفِ بَابِ الْغُرْفَةِ وَالِدَتِي وَبَسَّامٍ يَتَحَدَّثَانِ بِصَوْتٍ خَافِتٍ. فِي الْحَقِيقَةِ أَنَا قَلِقَةٌ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ قَدْ يَكُونُ وَرَاءَهَا أُمُورٌ غَيْرُ مُسْتَحَبَّةٍ لِي. سَمِعْتُ وَالِدَتِي تَقُولُ لِبَسَّامٍ: "هَذِهِ الْأَيَّامُ لَسْتَ عَلَى مَا يُرَامُ. مَا الَّذِي يُقْلِقُكَ يَا بُنَيَّ؟ أَنَا قَلِقَةٌ بِشَأْنِكَ." يَقُولُ: "لَا شَيْءَ يَا وَالِدَتِي، وَلَكِنَّنِي قَلِقٌ بِشَأْنِ مُسْتَقْبَلِ ابْنَتِكِ رُوزَا. أُفَكِّرُ بِأَنْ أُعْطِيَهَا لِصَدِيقِي مَازِنٍ، فَهُوَ ذُو أَخْلَاقٍ رَفِيعَةٍ، يَمْتَلِكُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي تَجْعَلُ رُوزَا تُوَافِقُ دُونَ أَيِّ رَفْضٍ عَلَى هَذَا الزَّوَاجِ. تَحَدَّثْنَا أَنَا وَمَازِنُ فِي الْأَمْرِ وَأَخْبَرْتُهُ الْكَثِيرَ عَنْ رُوزَا. مَا رَأْيُكِ؟" وَالِدَتِي: "لَا مَانِعَ بِأَنْ يَزُورَنَا مَازِنٌ، فَأَنَا أَيْضًا وَالِدَتُهَا وَأُرِيدُ أَنْ أَرَاهَا فِي قِمَّةِ السَّعَادَةِ. وَالِدُكِ سَيَفْرَحُ كَثِيرًا بِهَذَا الْخَبَرِ."

عِنْدَمَا سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ، تَتَسَارَعَ نَبَضَاتُ قَلْبِي بِسُرْعَةٍ مُخِيفَةٍ وَكَأَنَّ الْجُدْرَانَ الَّتِي أَتَّكِئُ رَأْسِي عَلَيْهَا تَنْخَزُ أُذُنِي بِالْأَشْوَاكِ. مَا الَّذِي أَسْمَعُهُ؟ أَنَا لَمْ أُكْمِلِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ عَامًا، هَلْ يَعْقِلُ ذَلِكَ؟ خَرَجَ بَسَّامٌ، فَذَهَبْتُ إِلَى وَالِدَتِي مُسْرِعَةً، وَقُلْتُ لَهَا بِطَرِيقَةٍ غَاضِبَةٍ: "سَمِعْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي دَارَ بَيْنَكُمَا، مَا هَذَا الَّذِي سَمِعْتُهُ؟" رَدَّتْ قَائِلَةً: "سَيَتَقَدَّمُ شَابٌّ إِلَى خِطْبَتِكِ، ذُو أَخْلَاقٍ وَمَبَادِئَ، يَمْتَلِكُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَأَنَا مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِي أَنْ تُوَافِقِي عَلَى هَذَا الزَّوَاجِ. سَيَأْتِي غَدًا مَعَ عَائِلَتِهِ لِيَرَاكِ." أَصَابَنِي السُّكُوتُ وَكَأَنَّ الْحُرُوفَ الَّتِي نَطَقَتْهَا وَالِدَتِي تَتَسَرَّبُ كَالسُّمُومِ إِلَى جَسَدِي. أَنْظُرُ إِلَى وَالِدَتِي بِنَظَرَاتٍ تَمْلَؤُهَا الْحِقْدُ وَالْكَرَاهِيَةُ، بَدَأْتُ أَبْكِي وَأَصْرُخُ فِي وَجْهِ وَالِدَتِي، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكْتَرِثْ. ذَهَبَتْ وَتَرَكْتَنِي أَبْكِي وَحْدِي. سَاعِدْنِي يَا الله، مَاذَا أَفْعَلُ؟

أريدُ أن أَجِدَ حَلًّا لِهذِهِ المُشْكِلَةِ. كَيْفَ سَأَتَخَلَّصُ مِنْ مَازِنٍ الَّذِي وَقَعَ عَلَى رَأْسِي؟ فَتَحْتُ بَابَ غُرْفَتِي وَأَقْفَلْتُ عَلَى نَفْسِي. جَلَسْتُ عَلَى الأَرْضِ أَتَنَهَّدُ مِنَ الْبُكَاءِ، أَنْظُرُ إِلَى زَوَايَا غُرْفَتِي وَكَأَنَّنِي سَأُفَرِّقُهَا الآنَ.

بَدَأْتُ أُفَكِّرُ كَيْفَ سَأَتَخَلَّصُ مِنْ هَذَا الزَّوَاجِ. لَمْ أَجِدْ هُنَاكَ حَلًّا غَيْرَ الاِنْتِحَارِ. وَقَفْتُ أَمَامَ مِرْآتِي، أَخْرَجْتُ الْمِقَصَّ، أَنْظُرُ إِلَى شَعْرِي الطَّوِيلِ وَلَكِنَّي لَمْ أَكْتَرِثْ لِجَمَالِهِ، فَأَنَا أُرِيدُ التَّخَلُّصَ مِنْ نَفْسِي بأي طريقة . بَدَأْتُ فِي قَصِّ أَوَّلِ شَعْرَةٍ. لَوْ رَأَيْتِمْ حَالَةَ يَدِي الْمُزْرِيَةِ، تَرْتَجِفُ. لَمْ أَسْتَطِعِ السَّيْطَرَةَ عَلَى الْمِقَصِّ. بَدَأْتُ فِي قَصِّ أَطْرَافِهِ. أَرَاهُ يَتَسَاقَطُ عَلَى الْأَرْضِ. كُلَّمَا رَأَيْتُ شَعْرَةً تسقط أَتَنَهَّدُ من شدة البكاء ، وَلَكِنِّي لَمْ أَتَوَقَّفْ. اِقْتَصَصْتُ نِصْفَهُ، بَعْدَهَا بَدَأْتُ فِي تَمْزِيقِ وَجْهِي. كُنْتُ أَحْفُرُ بِأَظَافِرِي فِي صَدْرِي وَرَقَبَتِي. قَدْ بَدَوْتُ فِي حَالَةٍ مُزْرِيَةٍ وَكَأَنَّنِي خَارِجَةٌ مِنْ مَذْبَحَةٍ.

جَلَسْتُ عَلَى الْأَرْضِ، فَتَحْتُ الدُّرْجَ الْقَرِيبَ مِنْ يَدِي، وَجَدْتُ إِبْرَةً حَادَّةً. قُلْتُ سَأَفْعَلُهَا. بَدَأْتُ فِي تَمْزِيقِ قَدَمِي وَإِدْخَالِ الْإِبْرَةِ بِطَرِيقَةٍ مُؤْذِيَةٍ. يَتَنَاثَرُ الدَّمُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ حَوْلِي. يَا إِلَهِي، كَيْفَ هُوَ الاِنْتِحَارُ؟ هَلْ أَقْطَعُ عُنُقِي؟ لَمْ أَسْتَطِعْ فِي الْحَقِيقَةِ، كُنْتُ خَائِفَةً مِنَ الْمَوْتِ وَلَكِنَّنِي خَائِفَةٌ أَيْضًا مِنَ الْبَقَاءِ. كَانَ الْجَوُّ بَارِدًا، غَفَوْتُ عَلَى الْأَرْضِ فِي ظِلِّ هَذِهِ الْأَجْوَاءِ الْمَاطِرَةِ. كُنْتُ أَسْتَشْعِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الْبَرْدِ الَّذِي يُجَمِّدُ أَطْرَافَ جَسَدِي. شَعْرِي الَّذِي اقْتَصَصْتُهُ مُتَنَاثِرٌ حَوْلِي. قَدَمِي تَنْزِفُ، بَنْطَالِي مُمَزَّقٌ.

لَا أَعْلَمُ لِمَاذَا اِنْتَابَنِي الْمَوْتُ وَبِأَنَّهَا آخِرُ نَوْمَةٍ لِي.

حَلَّ الصَّبَاحُ، فَتَحَتْ وَالِدَتِي غُرْفَتِي وَرَأَتْ حَالَتِي الْمُزْرِيَةَ، الدِّمَاءَ وَالشَّعْرَ. قَالَتْ: "رُوزَا؟ رُوزَا؟" اعْتَقَدَتْ أَنَّنِي مَيِّتَةٌ. فَتَحْتُ عَيْنَيَّ عَلَى وَجْهِ وَالِدَتِي الْقَرِيبِ مِنِّي. كَانَ هُنَاكَ نُورٌ عَاكِسٌ عَلَى وَجْهِهَا مِنَ النَّافِذَةِ. بَدَأَتْ تُلَامِسُ وَجْهِي وَتَقُولُ بِنَبْرَةٍ حَزِينَةٍ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ." كُنْتُ فِي حَالَةٍ يُرْثَى لَهَا. أَسْتَشْعِرُ الدِّفْءَ مِنْ يَدَيْهَا الَّتِي لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُلَامِسَ وَجْهِي مُنْذُ سِنِينَ لَا تُعَدُّ. قَدْ تَحَقَّقَ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي أَرَدْتُهُ بِشِدَّةٍ. بَدَأَتْ تَعْتَذِرُ وَتُقَدِّمُ لِي الْكَثِيرَ مِنَ الاعْتِذَارَاتِ وَالشُّعُورِ بِالذَّنْبِ.

رَفَعَتْ وَالِدَتِي رَأْسِي بِيَدَيْهَا وَغَمَرَتْنِي إِلَى صَدْرِهَا بِقُوَّةٍ. مَا أَجْمَلَ رَائِحَةَ وَالِدَتِي! مَا أَجْمَلَ هَذَا الشُّعُورَ! إِسْتِنْشَاقُ الْأَمَانِ وَالدِّفْءِ الَّذِي لَمْ أَحْظَ بِهِ مُنْذُ طُفُولَتِي. قَالَتْ لِي فَوْرًا: "حَاوِلِي أَنْ تَسْتَجْمِعِي نَفْسَكِ، وَأَنْ لَا تَبْدِي فِي هَذِهِ الْحَالَةِ." كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّنِي فَعَلْتُ هَذَا لِكَيْ أَتَخَلَّصَ مِنْ هَذَا الزَّوَاجِ. قَالَتْ لِي: "سَأَتَحَدَّثُ إِلَى بَسَّامٍ لِيُنْهِيَ هَذَا الزَّوَاجَ. اِنْتَظِرِينِي هُنَا وَرَتِّبِي مَا فَعَلْتِهِ مِنْ فَوْضَى فِي غُرْفَتِكِ."

قَدْ ذَهَبَتْ وَالِدَتِي لِتُخْبِرَ بَسَّامَ بِأَنْ يُنْهِيَ هَذَا الزَّوَاجَ وَيَتَحَدَّثَ الآنَ مَعَ صَدِيقِهِ مَازِنٍ لِإِلْغَاءِ المَوْعِدِ المُحَدَّدِ. أَنَا فِي غُرْفَتِي، وَصَوْتُ أَخِي بَسَّامٍ وَصُرَاخُهُ المُؤْذِي يَصِلُ إِلَيَّ. كُنْتُ أَعْلَمُ بِأَنَّهُ لَنْ يَكْتَرِثَ لِكَلَامِ وَالِدَتِي. قَدْ دَقَّ بَابَ غُرْفَتِي، وَالِدَتِي دَخَلَتْ كَانَتْ مَهْزُومَةً، يَبْدُو بِأَنَّ تَعَابِيرَ وَجْهِهَا لَا تُبَشِّرُ بِالْخَيْرِ. قَالَتْ لِي: "بَسَّامٌ وَوَالِدُكِ لَمْ يُوَافِقَا عَلَى هَذَا الرَّفْضِ. وَالِدُكِ يَرَى بِأَنَّ مَازِنًا شَابٌّ لَا يُعَوَّضُ." نَظَرَتْ إِلَى آثَارِ الجُرُوحِ فِي وَجْهِي، وَقَالَتْ لِي بِبُرُودٍ: "سَنُخْفِيهَا فِي مَسَاحِيقِ التَّجْمِيلِ الخَاصَّةِ بِي، وَأَمَّا عَنْ شَعْرِكِ فَقَدْ تَخَيَّلْتُ تَسْرِيحَةَ شَعْرٍ مُنَاسِبَةً لِهَذَا الطُّولِ. وَأَمَّا عَنْ ثِيَابِكِ، سَأُعْطِيكِ فُسْتَانِي الَّذِي أَهْدَانِي إِيَّاهُ وَالِدُكِ فِي عِيدِ زَوَاجِنَا الأَوَّلِ." أَصَابَنِي الهُدُوءُ، فِي الحَقِيقَةِ اسْتَسْلَمْتُ لِهَذَا الأَمْرِ وَسَلَّمْتُ نَفْسِي لِوَالِدَتِي لِتُجَمِّلَنِي فِي مَسَاحِيقِهَا الخَاصَّةِ. ارْتَدَيْتُ فُسْتَانَ وَالِدَتِي المَصْنُوعَ مِنَ الحَرِيرِ، وَأَخْفَتْ وَالِدَتِي آثَارَ الجُرُوحِ وَجَمَّلَتْ شَعْرِي الَّذِي قَصَصْتُهُ بِالأَمْسِ.

وَضَعْتُ يَدِي عَلَى المِرْآةِ أُرِيدُ أَنْ أَلْمِسَ عَيْنَيَّ الَّتَيْنِ لَمْ تَرْحَمَا مِنْ ظُلْمِ الأَيَّامِ وَمَا رَأَتَا مِنْ سَوَادِ العَيْشِ فِي هَذَا المَنْزِلِ، وَلَكِنَّهَا وَالِدَتِي جَمَّلَتْنِي حَتَّى أَخْفَتْ سَوَادَ عَيْنَيَّ، جَعَلَتْنِي أَبْدُو كَأَمِيرَةٍ.

دُقَّ بَابُ المَنْزِلِ، تَتَسَارَعُ نَبَضَاتُ قَلْبِي رُعْبًا، يُؤْذِينِي جَسَدِي، يَرْتَجِفُ، لَا أُرِيدُ ، أُحَاوِلُ ، بِشَتَّى الطُّرُقِ الهُرُوبَ، كَيْفَ وَأَيْنَ، وَأَنَا فِي صِرَاعٍ مَعَ عَقْلِي وَصُرَاخٍ فِي دَاخِلِي. فُتِحَ بَابُ الغُرْفَةِ، شَعَرْتُ بِالرَّعْشَةِ.قَالَتْ وَالِدَتِي: "رُوزَا، عَائِلَةُ مَازِنٍ تَنْتَظِرُكِ فِي الصَّالَةِ ."لَا تَتَأَخَّرِي." خَرَجَتْ وَالِدَتِي مِنَ الغُرْفَةِ ،

هَمَسْتُ بِنَبْرَةٍ أَلَمٍ: "سَاعِدْنِي يَا الله، مَاذَا أَفْعَلُ؟" وَأَنَا أَدْعُو الله، نَظَرْتُ إِلَى المِرْآةِ، سَمِعْتُ صَوْتًا فِي غُرْفَتِي يَقُولُ: "النَّافِذَةُ." وَأَنَا أَسْتَمِعُ إِلَى هَذَا الصَّوْتِ شَعَرْتُ بِالخَوْفِ الشَّدِيدِ، وَلَكِنَّنِي تَبِعْتُ مَصْدَرَ الصَّوْتِ، فَفَتَحْتُ النَّافِذَةَ.

وَلَكِنْ كَيْفَ سَأَتَخَلَّصُ مِنْ هَذَا الشَّبَكِ؟ فِي ظِلِّ هَذِهِ الأَفْكَارِ وَالتَّسَاؤُلَاتِ، عَادَتْ وَالِدَتِي وَهِيَ غَاضِبَةٌ: "لِمَاذَا لَمْ تَأْتِ إِلَى الآنَ، وَمَاذَا تَفْعَلِينَ بِجَانِبِ النَّافِذَةِ؟" سَحَبَتْنِي مِنْ يَدِي وَأَخَذَتْنِي إِلَى غُرْفَةِ إِعْدَادِ الطَّعَامِ. قَالَتْ لِي: "اِنْتَظِرِينِي هُنَا حَتَّى آتِي." ذَهَبَتْ وَالِدَتِي، وَبَقِيتُ لِوَحْدِي. نَظَرْتُ مِنْ فَتْحَةِ البَابِ، رَأَيْتُ وَالِدَتِي وَمِرْآةً كَبِيرَةً جَالِسَةً بِجَانِبِهَا. نَظَرْتُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ، كَانَ وَالِدِي وَبَسَّامٌ وَبِجَانِبِهِمْ رَجُلٌ غَرِيبُ المَظْهَرِ. أَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ مَازِنٌ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ رِجَالٌ غَيْرُهُ. فِي الحَقِيقَةِ أَصَابَنِي الذُّهُولُ عِنْدَ رُؤْيَتِي لِمَازِنٍ، كَانَ يَبْدُو رَجُلًا مَا يُقَارِبُ فِي الثَّلَاثِينَ عَامًا، مُخِيفًا، يَرْتَدِي البَدْلَةَ السَّوْدَاءَ، مُلْتَحِيًا، ذُو بَشَرَةٍ سَمْرَاءَ. شَعَرْتُ بِالغَرَابَةِ مِنْ هَذَا المَظْهَرِ أَكْثَرَ، وَأَصَابَنِي الخَوْفُ. اِلْتَفَتُّ حَوْلِي بِسُرْعَةٍ، أُفَكِّرُ، رَأَيْتُ السِّكِّينَ، أَخَذْتُهَا وَذَهَبْتُ مُسْرِعَةً إِلَى غُرْفَتِي. بَدَأْتُ فِي تَمْزِيقِ الشَّبَكِ بِقُوَّةٍ، لَمْ يُجْدِ نَفْعًا. وَضَعْتُ كُلَّ قُوَّتِي وَبَدَأْتُ أُمَزِّقُ بِقُوَّةٍ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ حَتَّى مَزَّقْتُهُ كَامِلًا. الحَمْدُ وَالشُّكْرُ للهِ، قَدْ فَعَلْتُهَا

. لِحُسْنِ حَظِّي بِأَنَّنَا نَعِيشُ فِي الطَّابِقِ الأَرْضِيِّ، وَيَعْنِي الأَمْرَ لَمْ يَكُنْ مُعَقَّدًا أَكْثَرَ. خَرَجْتُ مِنْ فَتْحَةِ الشَّبَكِ، وَبَدَأْتُ فِي الرَّكْضِ مُسْرِعَةً. أَيْنَ أَذْهَبُ؟ لَا أَعْلَمُ. ظَلِلْتُ أَرْكُضُ وَأَنَا أَرَى نَظَرَاتِ الأَشْخَاصِ مِنْ حَوْلِي وَالاسْتِغْرَابَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَكْتَرِثْ. أَكْمَلْتُ الرَّكْضَ، اِبْتَعَدْتُ عَنِ المَنْزِلِ، جَلَسْتُ خَلْفَ أَحَدِ المَنَازِلِ، بَقِيتُ جَالِسَةً مَا يُقَارِبُ سَاعَتَيْنِ حَتَّى بَدَأَ الظَّلَامُ يَتَفَشَّى فِي المَكَانِ. اِشْتَدَّتِ الرِّيَاحُ بِقُوَّةٍ، وَكَأَنَّ الهَوَاءَ يَعْصِفُ عَلَى قَلْبِي أَلَمًا. تَتَسَاقَطُ رَشَقَاتٌ مِنَ الأَمْطَارِ تُبَلِّلُ فُسْتَانِي وشَعْرِي. أَسْتَشْعِرُ البَرْدَ القَارِسَ وَالحُرِّيَةَ المَفْقُودَةَ. إِلَى أَيْنَ سَأَذْهَبُ؟ وَأَيْنَ سَأَسْتَقِرُّ؟هَلْ سَأَنَامُ فِي ذَاكَ الشَّارِعِ الَّذِي أَمَامِي؟ فِي ظِلِّ تِلْكَ التَّسَاؤُلَاتِ، نَظَرْتُ إِلَى الجِهَةِ اليُسْرَى، رَأَيْتُ امْرَأَةً عَجُوزًا جَالِسَةً بِجَانِبِ مَنْزِلٍ مَهْجُورٍ لَا يَسْكُنُهُ البَشَرُ، تَنْظُرُ إِلَيَّ وَتُحَدِّقُ بِي بِقُوَّةٍ. لَا أَعْلَمُ كَيْفَ جَذَبَتْنِي خُطُواتِي إِلَيْهَا. لَمْ أَتَحَدَّثْ، جَلَسْتُ بِجَانِبِهَا. كَانَتْ تِلْكَ العَجُوزُ غَرِيبَةً، يَسْكُنُهَا الصَّمْتُ. لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ بِأَنَّ تِلْكَ العَجُوزَ هِيَ مَنْ سَتُقَلِّبُ حَيَاتِي رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ.

اَلجزء الثالث:

العجوز

الغامضة

ما قصة هذه العجوز ؟

أَصَابَنِي الفُضُولُ: لِمَاذَا لَا تَتَحَدَّثُ تِلْكَ العَجُوزُ؟ عَيْنَاهَا حَادَّةٌ جِدًّا، مَكْحُولَةٌ، فِي الحَقِيقَةِ مُخِيفَةٌ. مَرَّ الوَقْتُ وَلَمْ نَتَحَدَّثْ. وَأَخِيرًا، نَطَقَتْ تِلْكَ العَجُوزُ الغامضة، وَأَوَّلُ كَلِمَاتٍ نَطَقَتْ بِهَا: "اِتْبَعِينِي."

كُنْتُ خَائِفَةً، لَا أُرِيدُ أَنْ أَتْبَعَهَا، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تُحَدِّقُ بِي كَثِيرًا، وَكَأَنَّ عَيْنَيْهَا المُظْلِمَتَيْنِ تَجْذِبَانِي إِلَى طَرِيقِهَا. قُلْتُ فِي عَقْلِي: "سَأَتْبَعُهَا." رَأَيْتُهَا مُتَّجِهَةً إِلَى هَذَا المَنْزِلِ المُخِيفِ الَّذِي يَظْهَرُ بِصُورَةٍ مَهْجُورَةٍ. لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ بِأَنَّ هَذَا المَنْزِلَ هُوَ لِتِلْكَ العَجُوزِ، ظَنَنْتُهَا جَالِسَةً أَمَامَهُ وَضَائِعَةً كَمَا أَضَعْتُ الطَّرِيقَ. خُطُواتِي كَانَتْ تُخِيفُنِي وَرَاءَ تِلْكَ العَجُوزِ، أَسْتَشْعِرُ الخَوْفَ. وَصَلْنَا إِلَى بَابِ هَذَا المَنْزِلِ، كَانَ البَابُ مُخِيفًا، يَحْتَوِيهِ العَفَنُ وَالرَّائِحَةُ الكَرِيهَةُ. تَتَسَارَعُ دَقَّاتُ قَلْبِي بِسُرْعَةٍ مُخِيفَةٍ، أَسْتَشْعِرُ عَدَمَ الأَمَانِ. فَتَحَتِ البَابَ وَدَخَلَتِ العَجُوزُ، لَمْ أَسْتَطِعِ الدُّخُولَ فِي الحَقِيقَةِ، فَأَنَا خَائِفَةٌ. قَدِ الْتَفَتَتْ إِلَيَّ لِأَنَّنِي لَمْ أَدْخُلْ، وَبَدَأَتْ بِالتَّحْدِيقِ بِي، وَكَأَنَّهَا تَقُولُ لِي: "لِمَاذَا تَتَرَدَّدِينَ فِي الدُّخُولِ؟" دَخَلْتُ بِسُرْعَةٍ خَوْفًا، فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَنْظُرُ إِلَيَّ، أَتْبَعُهَا. بَدَأْتُ أَنْظُرُ إِلَى المَنْزِلِ مِنَ الدَّاخِلِ، كَانَ مُعْتِمًا وَمُخِيفًا. مَاذَا أَفْعَلُ؟ كَيْفَ سَأَخْرُجُ مِنْ هَذَا المَنْزِلِ؟

تَرَكَتْنِي العَجُوزُ لِوَحْدِي فِي الصَّالَةِ وَذَهَبَتْ إِلَى غُرْفَةِ إِعْدَادِ الطَّعَامِ. كَانَتْ تِلْكَ العَجُوزُ تَقُومُ بِطَهْيِ الطَّعَامِ لِأَجْلِي. دَخَلْتُ إِلَى غُرْفَةِ نَوْمِهَا، لَا أَعْلَمُ لِمَاذَا دَخَلْتُ، وَلَكِنَّهُ الفُضُولُ. نَظَرْتُ حَوْلِي، رَأَيْتُ بِجَانِبِ سَرِيرِهَا لَوْحَةً تَحْمِلُ صُورَةَ عَائِلَةٍ جَمِيلَةٍ تَمْتَلِكُ الجَمَالَ السَّاحِرَ، وَكَأَنَّهَا تِلْكَ العَجُوزُ فِي شَبَابِهَا تَمْتَلِكُ الجَمَالَ الجَذَّابَ الَّذِي يَجْعَلُ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا لا يزيح نظره عَنْهَا. لَمْ أَرَ بِجَمَالِ هَذِهِ العَائِلَةِ. قَدْ سَمِعْتُ ضَجَّةً، خَرَجْتُ مِنَ الغُرْفَةِ، أَصَابَنِي الذُّعْرُ وَأَنَا خَارِجَةٌ، رَأَيْتُهَا فِي آخِرِ الصَّالَةِ وَهِيَ تَرْتَدِي الحِجَابَ الأَسْوَدَ الَّذِي يُظْهِرُ نِصْفَ شَعْرِهَا. بَدَأَتْ تُحَدِّقُ بِي وَفِي يَدِهَا حَسَاءٌ سَاخِنٌ. كُنْتُ خَائِفَةً مِنْ نَظَرَاتِهَا، لَمْ تَقُلْ شَيْئًا. جَلَسْنَا عَلَى مَائِدَةِ الطَّعَامِ، وَضَعَتْ الحَسَاءَ أَمَامِي. فِي الحَقِيقَةِ، رَائِحَةُ الحَسَاءِ شَهِيَّةٌ، لَمْ أَسْتَطِعِ السَّيْطَرَةَ عَلَى جُوعِي، فَأَنَا لَمْ آكُلْ مُنْذُ سَاعَاتٍ. بَدَأْتُ فِي تَنَاوُلِ الحَسَاءِ. بَعْدَمَا اِنْتَهَيْتُ مِنْ تَنَاوُلِ الحَسَاءِ الشَّهِيِّ...

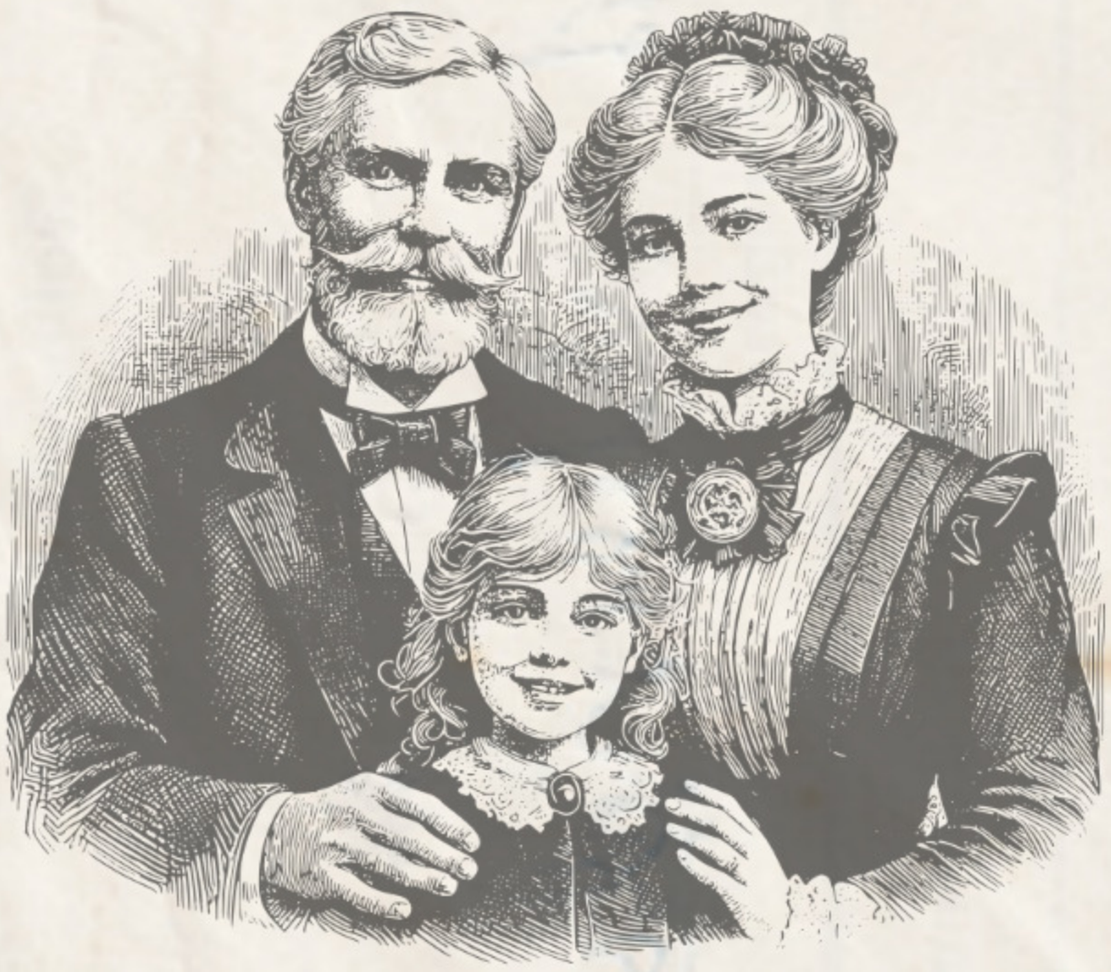

روزا بيلا

كتابة:رغد اللطيف

لا أعلم كيف مرَّ الوقت بتلك السرعة. نظرتُ إلى الحائط، والساعة المعلقة تشير عقاربها إلى العاشرة والنصف ليلاً. أخبرتُ تلك العجوز بأنني أريد الرحيل لأن الوقت قد تأخر. نظرت إليَّ بعينيها الغريبتين وقالت: "هل يوجد هناك مكان ستمكثين فيه؟" هززتُ برأسي بالنفي. لم تكن تعلم تلك العجوز حكايتي، فنحن لم نتحدث منذ مجيئي. قالت لي: "إذاً هذا منزلك الجديد، ويمكنك النوم على تلك الأريكة التي في الصالة"، وأشارت بيدها. لم أنطق بشيء رغم خوفي الكبير من البقاء في هذا المنزل المظلم، وكأنني استسلمتُ لهذا القرار، فأنا لا أعلم أين سأذهب.

جلبت لي العجوز ثوبًا أزرقَ اللون يملؤه الخرزُ الأبيض. كان مذهلًا، لم أرَ بجاذبيةِ هذا الثوبِ مثيلاً. ما السرُّ وراءَ هذه الجاذبيةِ في هذا الثوبِ؟

اقتربتْ مني العجوز وبدأت تُبدّل لي فستاني. في الحقيقةِ كنتُ محرجةً، ولكنني مستسلمةٌ لكلِّ شيءٍ تقوله. ارتديتُ الثوبَ، وظهرتُ وكأنني أميرةٌ. نظرت العجوزُ إلى عينيَّ وقالت: "ما أجملكِ يا ابنتي، اشتقتُ إليكِ"، وغمرتني إلى صدرها بقوةٍ. قلبي يدقُّ خوفًا، لم أفهمْ سببَ هذا التصرفِ. ابتعدتْ عني بسرعةٍ ومسحت دموعها وقالت: "أعتذر، أعتذر". لم أقلْ شيئًا رغمَ الاستغرابِ والخوفِ اللذين ملآ وجهي. ذهبتْ العجوزُ إلى غرفةِ نومها وتركتني وحدي في الصالة. شربتُ كوبَ الماءِ واستلقيتُ على الأريكة. كنتُ حقًا متعبةً. راودتني الأفكارُ حولَ عائلتي، وحياتي، وحولَ تلك العجوزِ. بكيتُ بشدةٍ حتى هزمني النعاسُ وأصبحتُ في سباتٍ عميقٍ.

حلَّ الصباح. فتحتُ عينيَّ، رأيتُ سقفَ الغرفةِ الذي يغلب عليه الرطوبة. كان يؤلمني ظهري، لم أعتدْ النومَ على الأريكة. وقفتُ أشعرُ بالدوار الشديد، وصداعُ رأسي يجعلني أفقدُ السيطرةَ على المشي، وغباشةُ الأشياءِ من حولي تجعلني أشعرُ بالتوهان. ولكن أولَ ما اتجهتُ إليهِ كان غرفةَ العجوزِ. رفعتُ يدي، وبدأت أطرقُ الباب. لا أحدَ يستجيب. جربتُ مرةً أخرى. ظننتُ أنها نائمةٌ. فتحتُ بابَ الغرفةِ، لكنها لم تكنْ موجودةً. أينَ هي؟

فَتَحتُ بابَ المَنزلِ، أَمشي هنا وهناكَ أبحثُ عنها في كلِّ زوايا الحَيِّ، لم أَجد لها أَثرًا. رأيتُ بائعَ كتبٍ، ذَهبتُ إليه مُسرعةً. قلتُ: السَّلامُ عليكم. فردَّ قائلًا: وعليكمُ السَّلام. تفضَّلي يا ابنتي. سألته: هل رأيتَ عجوزًا ترتدي الحجابَ الأسودَ وتُظهرُ القليلَ من شعرها؟ فهي تعيشُ في هذا المنزلِ. أشرتُ بيدي إلى المنزلِ المهجورِ. فقال البائعُ: هل تَقصِدينَ العجوزَ ليلى؟ قلتُ: مَن ليلى؟ سألني: هل أنتِ قريبةٌ لها؟ لم يسألْ عنها أحدٌ منذ سنين. ولكنه كان مُحنيًّا رأسَهُ في الجريدةِ التي كانت في يده، ولم ينظرْ إليَّ. رفعَ رأسهُ ونظرَ إليَّ بتمعنٍ شديدٍ وأزاحَ النظارةَ عن عينيهِ وأعادها مرةً أخرى، وقال: سُبحانَ الخالِقِ!

في الواقعِ أخافني هذا البائعُ، لم أفهمْ المقصدَ من كلامهِ. قال لي: ما اسمكِ يا ابنتي؟ فرددتُ: روزا. قال لي: هل أنتِ قريبةٌ لها يا روزا؟ قلتُ: لا، لستُ قريبةً لها. قال: أتعلمينَ يا ابنتي روزا، أنتِ تُشبهينَ رِسال كثيرًا. أصابني الفضولُ حول اسم "رسال". قلتُ: مَن رسال؟ قال: رسالُ ابنةُ ليلى. آه، أسفاهُ على رسال! هل هي فتاةٌ تُنسى؟ بعد رحيلها، أصبحَ هذا الحَيُّ مُظلمًا. فقلتُ: ماذا تَقصِدُ برحيلها؟ فردَّ الرجلُ: رسالُ توفيتْ منذ سنينَ في حادثٍ مؤسفٍ، وأتوا بها إلى هنا ميتةً. ودَّعها الحَيُّ بأكمله. أما عن ليلى، فلم تُصدقْ خبرَ وفاتها. أصبحتْ مخيفةً، تتصرفُ دائمًا بغرابةٍ. لم يدخلْ منزلَها أحدٌ منذ سنين، قاطعتها عائلتُها بأكملِها. حتى إنني أنا جارها، أعيشُ قريبًا منها، ولم أحتكَّ بها، فهي لا تتحدثُ منذ وفاةِ ابنتها. أصابتها الصدمةُ بعدما تلقتْ هذا الخبرَ، واختارتْ أن تبقى في هذا المنزلِ. فهي تعيشُ هنا منذ سنين، دائمًا تجلسُ أمام منزلِها منتظرةً عودةَ رسال. لم تُغيرْ عادتها الغريبةَ، ولم يزْرها أحدٌ من أقاربها.

رسالُ فتاةٌ كاتبةٌ محبوبةٌ كثيرًا في هذا الحَيِّ، كانت تحلمُ بأن تُصبحَ مشهورةً للعالمِ، وكانت ليلى دائمًا تقفُ في طريقها. منعتها من الكتابةِ لأنها لم تُردْ أن تصبحَ ابنتها معروفةً، رغم أن رسالَ كاتبةٌ رائعةٌ وتَحملُ الموهبةَ التي تجعلُ كلَّ من يقرأُ كلماتِها يُصبحُ عاشقًا لها. كانت تكتبُ الكثيرَ من الأوراقِ الصغيرةِ التي تحملُ فيها الدعمَ والمحبةَ للناسِ. تَدقُّ على جميعِ منازلِ الحَيِّ وتُعطيهم أوراقًا صغيرةً. ما زالتْ أوراقُها بحوزتي، وعندما أمرُّ في مِحنِ هذه الحياةِ، أعودُ إلى قراءةِ ما كانتْ تكتبُهُ لأتمعنَ في كلِّ حرفٍ كانتْ تكتبُهُ لي حتى أقفَ على قدميَّ من جديد. أسفاهُ على ابنتي رسال!

أصابَ روزا الحزنَ والاستغرابَ بعدما سمعتْ بقصةِ العجوزِ ليلى وابنتها رسال. وتساءلتْ في نفسها عن السببِ الذي دفعَ هذا البائعَ إلى قولِ كلِّ هذا لها. ثم سألَها البائعُ: ما حكايتُكِ يا ابنتي؟ أراكِ منذ البارحةِ هنا، هل أنتِ من أحدِ أقاربها؟

لم أستَطِعِ النُّطْقَ، وقُلْتُ بطريقةٍ عشوائيةٍ وكأنَّني أبتعدُ عن الجواب "هل تستطيعُ إعطائي الأوراقَ التي كتبتها رسال لك؟"
قال لي: "بالطبعِ سأُعطيكِ، انتظريني هنا وسآتي بعد قليل."
مرَّتِ الدقائقُ وأنا أنتظر. أتى الرجلُ وبيدهِ صندوقٌ صغير. فتحَ الصندوقَ وكان ممتلئًا بالرسائلِ الصغيرة. قال لي: "سأعطيكِ هذا الصندوقَ اليومَ، ولكن بشرطِ أن تُعيديه فورَ قراءتكِ لهذه الرسائلِ، فأنا لا أستطيعُ الاستغناءَ عن رسائلِ رسال. فهي تعطيني القوَّةَ والصَّبْرَ وتزرعُ الأملَ بي من جديد."
أخذتُ الصندوقَ الصغيرَ وذهبتُ مسرعةً إلى المنزل. فتحتُ الصندوقَ وأصابني الفضولُ حولَ ما كانت تكتبُ رسال. فتحتُ الورقةَ الأولى وكان مكتوبًا بها:
"جاري العزيز، لم أنسَ أنك كنتَ لي بمثابةِ أبٍ بعدما هجرنا والدي لأسبابٍ غيرِ مفهومةٍ ومنطقيةٍ، ولن أنسى أنك المشجعُ الأكبرُ لي لأصبحَ كاتبةً بعدما منعتني والدتي من نشرِ كتاباتي. يؤذيني حالي يا جاري العزيز."
كان في نهايةِ الورقةِ مكتوب: "الكاتبة رسال. وداعًا."
تغلغلتِ الدموعُ في عينيَّ. شعرتُ بكلماتِ رسال وكأنها حفرتْ أجوافًا من الألمِ في قلبي. انتابني الفضولُ للورقةِ الثانية. قمتُ بفتحها، ولكن هذه الرسالةَ لم تكن مخصصةً لجارها، بل كانت رسالةً جماعيةً مكتوبًا بها:
"مرحبًا يا أهلَ الحي، كيف حالكم اليوم؟ تذكروا أن الحياةَ فانيةٌ، وليس من الضروري أن نحملَ الأمورَ فوق طاقتها. تذكروا أنكم تستحقونَ الخيرَ والسعادةَ يا عائلتي الثانية. تذكروني دائمًا."
وفي نهايةِ الورقةِ: "وداعًا. الكاتبة رسال."
الغريبُ أنها كانت تكتبُ "وداعًا" في كل ورقةٍ، وكأنها تعلمُ أن الموتَ في طريقه إليها. أكملتُ قراءةَ جميعِ الأوراقِ الصغيرة، وكانت رسائلُها تؤكدُ أن الخيرَ ما زال موجودًا، وأنها تريدُ أن تزرعَ البهجةَ والسرورَ على وجوهِ أهلِ الحي، وأنها كانت تحلمُ بأن تنتشرَ كتاباتُها وتصبحَ مشهورةً في العالمِ رغمَ وقوفِ والدتها في طريقها ومنعها.
انتهيتُ من قراءةِ الرسائل. لا أعلمُ ما السببُ الذي جعلني أشعرُ بكل هذا العمقِ والألمِ الشديدِ في رسائلِ رسال. وكما قال لي البائعُ، إن كلَّ من يقرأُ كلماتها يغرقُ بها.
أغلقتُ الصندوقَ ولم تأتِ العجوزُ إلى الآن. خرجتُ من المنزلِ وذهبتُ إلى البائعِ الذي أعطاني الصندوقَ، لكن محلَّه كان مغلقًا. يا إلهي، كيف سأُعيدُ له الصندوق؟ ماذا أفعلُ إذا رأت ليلى الصندوقَ في يدي؟

الجزء الرابع:

رسال

عُدتُ مُسرعةً إلى المنزل، بسرعةٍ أبحثُ عن مكانٍ أُخبئ فيه هذا الصندوق. وجدتُ الحلَّ تحتَ الأريكةِ التي أنامُ عليها حتى لا تراه العجوز. استدرتُ إلى الخلف بعدما خبأتُ الصندوق، ولكن الصدمةَ بأنني وجدتها خلفي!

أصابني الخوفُ من نظراتها. قالت بصوتٍ غريب: "ما الذي خبأتِه؟" أنظرُ إليها، أُحرّكُ شفتايَ ولم أستطعِ النُّطق. نظرتْ إليَّ بعينيها المظلِمتين، اقتربتْ من وجهي وقالت: "لن أُؤذيكِ." قلتُ بصوتٍ خافتٍ: "لا شيء." ابتعدتْ فورَ قولي "لا شيء" وذهبتِ العجوز وهي تحمل الكثيرَ من الأكياس السوداء. شعرتُ بدقاتِ قلبي الممتلئة بالخوف. رأيتُ كوبًا من الماءِ بجانب الأريكة، بسرعةٍ مريبةٍ أمسكتُ الكوب وشربتُ الماء. شعرتُ بالهدوء قليلًا ولكني خائفة. جلستُ على الأريكة، لم أستطع تهدئةَ قدميَّ، تهتزانِ كثيرًا. أشعرُ بالقلق وأنا أستمعُ إلى صوتِ الأكياس من غرفة إعداد الطعام وهي تُفتح.

بعد مرور دقائق، أتتِ العجوز وهي تحمل وعاءً به الكثير من الخضراوات والفواكه. وكل ثانية تعودُ وهي حاملةٌ للطعام والعصائر الطبيعية والحلويات والحليب والألبان والبيض وغيرها، مثل عندما نقول كل ما تشتهي النفس.

كانت المائدة كبيرة. كل هذا لأجلي حقًا؟ بعدما حضرت لي هذه المائدة، جلست أمامي تنظر إليَّ بأن أبدأ الطعام. كانت تنظر إلى عينَيَّ بتمعنٍ غريبٍ ومقلق، وقالت لي بصوتٍ هادئ: "تناولي فطورك." لمن كل ذلك؟ لن أستطيع أن أنهيَ كل هذا الطعام! هذا الحوار كان في عقلي فقط، والذي حدثَ بأنني بدأتُ في تناول الطعام. شعرتُ بالسعادة، فأنا لم أتناول هذا الطعامَ بتلك الصورة، ولم أحظَ يومًا بهذا الاهتمام الكبير. شعرتُ بالدفء والسرور بجانب هذه العجوز، رغم خوفي من أن ترى الصندوق، ولكني أشعرُ بالأهمية الكبيرة.

بعدما انتهيتُ من الطعام، نظرتُ إلى العجوز وهمستُ بلطف: "شكرًا." ابتسمت لي وهي تناظر عينَيَّ، ولكن الغريب أن عينيها تغمرهما الدموع، لم ترمش وهي تنظر إليَّ وكأنها نظرةُ ألم. قالت لي: "عيناكِ..." قلت: "ما الخطب؟" قالت: "هل أستطيع أن أحتضنكِ لمرةٍ واحدة؟" في الحقيقة أصابني الخوف والتوتر، ولكنني حرَّكتُ رأسي إلى الأسفل، مما يعني أنني موافقة.

فتحتْ يديها وقالت: "اقتربي"، وهي منهمرةٌ بالبكاء. اقتربتُ، غمرتني بقوةٍ وقالت: "اشتقتُ إليكِ كثيرًا"، وشدَّتني بقوةٍ أكثر، كانت تؤلمُ ظهري وتقول: "انتظرتكِ سنين طويلة، ولم تعودي إليَّ، لماذا ذهبتِ يومها مع صديقتكِ؟ أخبرتكِ ألا تذهبي، فأنا لم أكن مرتاحةً لهذه الرحلة."

بدأتْ تصرخُ وتبكي وتقول كلماتٍ غير مفهومة، أخافتني. ابتعدتُ عنها ووقفتُ بعيدًا. بدأت تصفعُ قدمها بقوةٍ وتقول: "هذا كان خطئي يا رسال، منعتُكِ أن تُصبحي كاتبةً كما حلمتِ دوماً يا صغيرتي. إلى أين ذهبتِ؟ أنا ما زلتُ منتظرةً عودتكِ كل يومٍ أمام المنزل. أنا أعلمُ بأنكِ ستعودين يومًا ولن تهجريني أكثر كما فعل والدكِ."

كانت تلك العجوزُ تتحدثُ كثيرًا مع نفسها، تعاتبُ ذاتها بقولِ كلامٍ جعلني غارقةً بالبكاء. رغم خوفي من تلك العجوز في هذه اللحظات، إلا أنني اقتربتُ مرةً أخرى، أمسكتُ بيدها وقبَّلتُ رأسها وجلستُ متكئةً على الأرض. بدأتْ تلك العجوزُ تمسحُ بيدها على عينَيَّ وتقول: "أرى بهما رسال." كنتُ أعلم ماذا تقصدُ في هذه اللحظة، بعدما أخبرني ذاك البائع بأن عينَيَّ ووجهي شبيهانِ برسال. حينها أيقنتُ بأن العجوزَ تعاملني بهذا اللطف لأنني شبيهةٌ بابنتها التي أخذتها الأقدار في حادثِ سيرٍ مؤسفٍ برفقةِ صديقتها.

وهي تمسحُ بيدها على وجهي، قلتُ لها: "أريدُ أن أسألكِ شيئًا." قالت لي: "اسألي." كان سؤالي في هذه اللحظة: "لماذا منعتِ رسالَ من الكتابة؟" ردَّت قائلةً: "هذا كان خطئي. كنتُ أعتقدُ بأن رسالَ إذا أصبحتْ كاتبةً ستتركني وتتخلى عني كما فعل والدُها بعدما أفنيتُ حياتي لأجلها. كنتُ أعملُ ليلًا ونهارًا لكي تعيشَ وتأكل. كنتُ أتعرضُ للكثير من المضايقاتِ في أماكنِ عملي لأنني في ذاك الوقت كنتُ امرأةً صغيرةً وجذابةً للنظر. كان هدفي أن تعيشَ رسالُ الحياةَ التي تريدها، ولكني منعتها من تحقيقِ ما تريد. لم تعشْ رسالُ ما أرادت. أريدُ أن أحققَ حلمَ رسال، وأنتِ من ستحققين هذا الحلم؟"

الجزء الخامس:

القلم السحري

ننظرتُ إلى عينيها نظرةَ استغرابٍ وقلتُ: "ولكن كيف سأحقق حلمها؟ أنا لا أعرف شيئًا عن الكتابة!" لم تستجبْ لسؤالي، ذهبتْ إلى غرفة نومها وجلبتْ لي كتابًا بنيَّ اللون. سألتُها: "ما هذا الكتاب؟". فتحتهُ، ولكن الغريب أن صفحاته كانتْ فارغةً، تخلو من النصوص، حتى أنه بلا عنوان، مثلما نقول: "كتاب بلا فائدة". فتحتُ الصفحات وقلَّبتُها، وإذا هناك في منتصف الكتاب قلمٌ أسودُ غريبُ الشكل، لا أعلم كيف أصفُه، لم أرَ بغرابةِ هذا القلم في حياتي. أمسكتْ العجوز بالقلم، وأغلقتِ الصفحات، وكتبتْ على غلاف الكتاب "رواية رسال" بخطٍ كبيرٍ، وكتبتْ في نهاية الغلاف "الكاتبة روزا بيلا".

أعطتني الكتاب وقالتْ لي: "ستكتبين قصة ابنتي في هذا الكتاب وبهذا القلم." في الحقيقة لم أنطقْ بشيء، فقط كنتُ مستمعةً لتلك العجوز. ماذا تقول؟ ولكني سأنفجرُ من هذا السكوت! قلتُ لها: "ولكن كيف؟ أنا لا أستطيع الكتابة. كيف سأستطيع أن أكتب قصة رسال؟ وكيف أسردها بالطريقة الصحيحة؟"
لكن المفاجأة حدثتْ عندما وضعتُ رأس القلم على الصفحة الأولى؛ بدأتِ الحروف تتناثر أمامي. يا إلهي، كيف حصل ذلك؟ عقلي يحمل الكثير من الكلمات المناسبة، ورأيتُ سردًا رائعًا. كيف حصل هذا؟
لم أرَ بجاذبية تلك النصوص في حياتي. بدأتُ الكتابة وسرد القصة في الصفحات، وكانت العجوز تتركني لساعات طويلة وحدي لأكتب. لا أنام الليالي، وأنا جالسة منحنية أكتب قصتها بكل صفحة، والقلم في كل مرة يسرد بطريقة تجعلني مذهولةً من هذه الكلمات. مرَّ شهرٌ على تلك الحالة حتى انتهائي من هذا الكتاب. أعطيتُ العجوز الكتاب الذي بذلتُ فيه كل مجهودي الجسدي. أخذتْ العجوز الكتاب وذهبتْ خارج البيت وغابتْ لساعات طويلة وعادتْ، ولكن الكتاب ليس في يدها. سألتُها: "أين الكتاب؟" قالتْ: "سنرى النتيجة بعد أيام، سننتظر." سألتُها: "ننتظر ماذا؟"

مرَّ اليوم الأول لا نتائج، واليوم الثاني والثالث، مرَّ أسبوع ولم نتلقَّ أي نتائج عن هذا الكتاب. رأيتُ العجوز تذهب كل يوم خارج البيت وتغيب لساعات طويلة وتعود، ولكن كلما كانتْ تعود، يبدو على تعابير وجهها أنها مهزوزة جدًّا. في يوم كنا جالسين نتناول الطعام، فتحتْ العجوز التلفاز تقلب به. كعادتي كنتُ سارحةً في التلفاز، لا أعلم ما الذي تقوله المذيعة. مللتُ من تلك الأخبار التي نشاهدها كل يوم، أخبار البلاد والطقس. وقفتُ لأنقل الصحون بعدما انتهينا من تناول وجبة الغداء إلى غرفة إعداد الطعام. وأنا أنظف الأوعية، سمعتُ صوتًا يقول: "روزا، روزا!" ما هذا الصوت العالي؟ بسم الله، عساه خيرًا.

ركضتُ مسرعةً إلى الصالة، ورأيتُ العجوز ليلى تنظر إلى التلفاز وعيناها ممتلئتين بالدموع، وتقول: "كتابكِ، كتابكِ!" لم أفهم ماذا تقصدين. قالتْ لي: "انظري إلى التلفاز." نظرتُ إلى الشاشة، وإذا بها المذيعة تقول: "كتاب رسال بقلم الكاتبة روزا بيلا بدأ مسيرته الفنية في غضون فترة قصيرة وانتشر كثيرًا على المواقع والجرائد، وقد أصبح الكتاب مطبوعًا ومتوافرًا في كل مكان. من هي تلك الكاتبة التي سحرت عقول الناس بكلماتها المليئة بكل معاني الفن؟ من هذه الفتاة التي تختبئ وراء تلك الحروف الرائعة التي تجعل كل من يقرأها يبحث عن كتاب جديد لها؟ في غضون فترة قصيرة انتشر هذا الكتاب، ونحن نريد الوصول إلى تلك الكاتبة، ونطالب بمقابلة الكاتبة روزا بيلا. إذا كنتِ تشاهدينا، نرجو أن تكشفي لنا عن هويتكِ وأن تتواصلي معنا في أسرع وقت ممكن. من يعرف شيئًا عن هذه الفتاة يتواصل معنا على تلك الأرقام التي سنضعها في أسفل الشاشة. وداعًا، هذه كانت أخبارنا لليوم."

من هي صاحبة هذا الكتاب ؟

روزا بيلا

كتابة:رغد اللطيف

لم أفهم شيئًا، ما هذا الذي حصل؟ العَجوزُ ليلى تغمرها الفرحَة، وتعابير السعادة لا تفارق عينيها. تغمرني إلى صدرها بكل قوة وحب، وتقول: "قد تحقق حلم رسال". ولكني في صدمة! عندما نقول لم أفهم شيئًا من هذا الشعور، ولم أتوقع يومًا أن يصبح اسمي مشهورًا، يطالب الناس برؤيتي. كيف ذلك؟

العَجوزُ ليلى قالت: "يجب أن تكشفي لهم عن هويتكِ، وأن تذهبي إلى تلك المقابلة يا روزا. هذه فرصتكِ يا ابنتي."
رددتُ قائلة: "يستحيل ذلك! كيف ستكشف عائلتي أمري؟"

لم تنطق شيئًا عندما قلتُ "عائلتي". أصابها الهدوء، وكأنها فهمت بأنني إذا ذهبتُ إلى تلك المقابلة فأنا أذهب إلى موتي. فهي تعلم قصتي وماذا سيحدث إذا رأتني عائلتي. سيجدونني بسهولة تامة. أنا لا أستطيع أن أكشف عن هويتي."
جلستُ مهزومةً بجانب العَجوزِ ليلى، أدرتُ بوجهي إلى عينيها ووضعتُ يدي على خديها وقلتُ لها بهمسات الحسرة والألم: "أعتذر، ولكن ماذا يفيد ذلك؟"
وغمرتها بقوة. لم تقدِّم لي أي ردَّة فعل في لحظتها. وقفتْ وذهبتْ إلى غرفتها بخطوات معقدة وهي مهزومة.

ماذا سأفعل يا الله؟ كيف سأحقق حلم رسال؟ طوال الليل أمشي في كل أرجاء المنزل، أفكر، أبكي، أجلس على الأرض، على الأريكة، أفكر... أفكر...
حلَّ الصباح وأنا على هذا الحال، لم أغمض عينيَّ للحظة واحدة. صحَتْ العَجوزُ ليلى في الساعة السابعة صباحًا، وجدتني مستيقظةً، عينايَ منتفختين من قلَّة النوم والبكاء. نظرتُ إليها بكل حزن، وركضتُ مسرعةً نحوها، وغمرتها بقوة، وقلتُ: "سأفعلها لأجل رسال."
لم تقل شيئًا، أخذتني إلى غرفة نومها، في أحضان تلك العَجوزِ التي جعلتني أشعر بكل أنواع السلام والهدوء. وهي تمرر يدها على شعري وجسدي، كانت تلامسني بطريقة تجعلني غارقةً في عالم الأمان.

صحوتُ بعد غفوةٍ ساعاتٍ، لا أتذكر كيف غفوتُ، ولكني من شدة التعب كنتُ في سباتٍ عميق. رفعتُ رأسي عن الوسادة، العَجوزُ ليلى لم تكن بجانبي، ولكن كان بجانبي فستانٌ أسود طويلُ الأكمام، مليءٌ بالورود، لامعٌ جميلٌ جدًا وكأنه يبرق. أتت العَجوزُ ليلى وقالت: "استيقظتِ؟ صباح الخير يا وردتي. هذا الفستان أحضرته لكِ لكي ترتديه." كنتُ فرحةً جدًا وأيضًا خائفةً ومترددةً من الذهاب إلى تلك المقابلة التي ستحدد مصيري مع عائلتي...

قلتُ لها بكل هدوءٍ وحب: "شكرًا لكِ." قالت لي: "اليوم مقابلتكِ ستكون في الساعة السادسة مساءً. لقد تحدثتُ معهم، والجميع متحمسٌ جدًا لرؤيتكِ يا ابنتي. هيا لتجهزي نفسكِ حتى نذهب إلى تلك المقابلة."

وكأن الكلام الذي قالته العَجوزُ يخترق شيئًا فشيئًا في داخلي. أنا خائفةٌ كثيرًا من هذه المقابلة، ولكني لم أفهم ماذا أفعل في تلك اللحظة. أنا لا أستطيع الانسحاب لأنني وعدتُ ليلى بأنني سأحقق حلم ابنتها التي كانت تحلم بأن تكون كاتبةً مشهورةً ويراها الجميع...
ذهبتُ إلى دورة المياه وغسلتُ وجهي. أعطتني ليلى مساحيق التجميل والعطور. ارتديتُ الثوب الأسود ووضعتُ المكياج والعطور وسرحتُ شعري بطريقةٍ بسيطة. كنتُ جميلةً وكأنني خارجةٌ من إحدى البيوت الباهظةِ جدًا. الساعةُ الخامسة، بقيت ساعةٌ على المقابلة. أشعر بالتوتر والفرح، بداخلي شعورٌ غريبٌ ومتناقض، لم أستطع أن أفهمه.

روزا بيلا

كتابة:رغد اللطيف

الجزء السادس

مقابلة روزا بيلا :

وصلتُ إلى تلك اللحظةِ التي كانت تنتظرني قبل دخولي إلى المسرح. كانت هناك المذيعةُ التي كنتُ أراها دوماً في التلفاز، تحادثني وترحب بي، وأنا أشعر بأنني لستُ هنا وكأنني في عالمٍ آخر. لم أفهم شيئًا مما يحدث، وكيف سأخرج أمام هذا الكمِّ الهائلِ من الناس؟ وما الذي سأقوله؟ دقاتُ قلبي تتسارع، والخوفُ يحاصر جسدي. لم أجد شيئًا يخفف عبءَ هذا الشعور سوى نظراتِ العجوزِ التي كان يملؤها الحزنُ والفرحُ. قلتُ: سأفعلها. ابتسمتُ إلى العجوزِ وخرجتُ إلى المسرح. رأيتُ الكثير من الناس يُصفقون بصوتٍ عالٍ، وصوتُ التصفيقِ يتردد في أذني، ويحدث لي رهبةً عارمةً. لم أتوقع يوماً أنني سأصل إلى هذا المكان. وقفتُ أمام المنبرِ، لا أعلم ماذا أقول، وكأن لساني قد سُحب من مكانه. توترتُ، فرفعتُ رأسي في لحظةٍ وقلتُ: "لأجل رسال". ظننتُ أنني أقول هذا الكلام في عقلي، ولكن الحقيقةَ أنني قلته بصوتٍ عالٍ سمعه الجميع. رددتُ وقلتُ: مرحبًا بكم أيها السادة، يسعدني أن أكون معكم في هذا اليوم العظيمِ الذي انتظرته منذ سنين طويلة،

ويسعدني أن روايتي قد نالت إعجابكم وتقديركم لها. أنا ممتنةٌ لكم جميعًا، فلولا وجودكم لم أصل إلى هذا المكان. لم أكن أتوقع يوماً أن أقف هنا في هذا المكان الرائع. روايةُ "رسال" أُخذت من واقعِ فتاةٍ رحلت عن هذا العالم، وهي مقتبسة من قصةٍ حقيقيةٍ.

كانت العجوزُ ليلى تنظر إليَّ، وكأن نظراتِها هي من كانت تجعلني أقول كل هذا الكلام العجيب. عندما أحنت رأسها عن النظر إلى عينيَّ توقف الكلام، لا أعلم ماذا أقول. كانت لحظةَ صمتٍ عجيبةٍ، الهدوء يعم المكان، وأنا كالتائهة بين الحروف. لم أستطع أن أنطق شيئًا. ما الذي يحدث معي؟ عندما رفعت العجوزةُ رأسها ونظرت إليَّ مرةً أخرى، بدأتُ أنطق من جديدٍ كلامًا عجيبًا يجعلني مندهشةً. لم أستطع فهمَ هذا الكلام، وما الذي ينطقه لساني؟؟

في النهاية، قلتُ: "أشكركم على حضوركم الطيب. أتمنى أن أَبقى الكاتبةَ المفضلةَ لكم، وأن لا أُخَيِّبَ ظنَّكم في أعمالي القادمة. أتمنى أن تكون كلماتي هذه قد نالت إعجابكم وتقديركم. وشكرًا، الكاتبة روزا بيلا." وقف الجميع وبدأوا يصفقون. لم تسعني هذه اللحظات الجميلة. الأضواء من حولي تتحرك، والناس مندهشون من كلماتي، والعجوز ليلى تنظر إليّ بنظراتٍ لا تُفَسَّر.

جاءت المذيعة وهي حاملةٌ ورقةَ تقديرٍ بأنني حصلتُ على لقب "أفضل كاتبة" في فترةٍ قصيرة، وأعطتني إياها. ولكني في تلك اللحظة لم أنسَ شيئًا مهمًا. اقتربتُ من المنبر وقلتُ: "عزيزتي ليلى، كم كنتُ أتمنى أن يكون هذا التقدير لكِ، ولكنني كما قلتُ لكِ سأحقق حلمكِ ولن أستسلم." الجميع كان مستغربًا من هذه الكلمات ولم يفهمها سواي أنا وليلى. وقلتُ أيضًا: "أريد أن أُقَدِّمَ هذا التقديرَ لمن رافقتني في مسيرتي الكتابية، إلى أمي الغالية وحبيبتي ليلى."

الجميع كان ينتظر معرفة من هي ليلى. الأضواء أَحاطت بالعجوز ليلى من كل مكان. خرجتْ على المسرح، غمرتها فور وصولها إلى جانبي. كانت منهمرةً في البكاء. كان العازف يعزف بأوتاره الحزينة نغماتٍ تتضارب في رأسي، تُصْحِي بي أصوات الحنين والذكريات. في هذه اللحظة المليئة بالمشاعر الصادقة، قلتُ: "أُقَدِّمُ إليكِ هذا التقدير الرائع." أخذتها ليلى، وبدأ الجميع يصفق بحرارة. جاءت المذيعة إلى جانبنا وقالت بصوتٍ مرتفع: "نشكركم جميعًا على هذه الليلة الرائعة والمميزة جدًا، ونشكرك يا روزا بيلا على مجيئكِ لنا. نتمنى أن نكون دوماً على تواصل، ونتمنى أن يكون هناك أعمال مميزة وجديدة بإذن الله، فالجميع ينتظر كتابًا جديدًا لكِ. شكرًا جزيلاً لكم، وداعًا، كانت هذه حلقتنا لهذا اليوم."

انتهت هذه الليلة على خيرٍ وسلام. وقبل خروج روزا من هذا المكان، قدموا لها مغلفًا مغلقًا، وقالت لها المذيعة: "هذه مكافأة لكِ، نتمنى أن تنال إعجابكِ." والكثير من الورود. وعادت ليلى وروزا إلى المنزل بسلام. ...

مكافأة مالية مقدمة
إلى الكاتبة: روزا بيلا

فتحت روزا الغلاف، كان هناك شيك بمبلغ كبير. تفاجأت روزا من هذا الرقم الذي لم تتوقعه، نظرت إلى ليلى وقالت لها: "ماذا سنفعل بكل ذلك المال؟" ردت عليها: "يا ابنتي، هذا لكِ، وهذا من مجهودكِ، افعلي ما شئتِ به." ردت روزا قائلة: "ولكنكِ أنتِ من جعلتني أصل إلى هذا المكان، تذكري بأنني لن أنسى ذلك."

بعد يوم طويل مليء بالأحداث الرائعة، خلدنا إلى النوم أنا وليلى بعد ليلة مليئة بالفرحة والسرور. كانت هذه الليلة من أسعد ليالي حياتي، ولكني لم أكن على علمٍ بما ينتظرني في الغد.

حلَّ الصباح، صحوتُ مبكرًا قبل ليلى. جهزت نفسي بهدوء، خرجت من البيت، أخذت إحدى سيارات الأجرة وذهبت إلى أقرب البنوك وصرفت الشيك. أخذت القليل من الأموال وخبأت الباقي، وذهبت للتسوق لشراء ثوبٍ جديدٍ لليلى والكثير من الروائح الجميلة، والورد الأبيض، والمسك، والعنبر. مر وقت طويل على تسوقي.

استيقظت ليلى على صوت دقات بابِ المنزل، مفزعة من هذه الدقات القوية، ولم تجد روزا بجانبها. ذهبت إلى الباب مسرعةً وفتحته، وإذا بها الكارثة! شاب ورجل كبير يقولان: "السلام عليكم." ردت ليلى: "وعليكم السلام." قال الشاب: "نحن هنا نسأل عن فتاةٍ اسمها روزا بيلا، والجميع يقول إنها تعيش في هذا المنزل. فهل تستطيعين المناداة عليها قليلاً؟ نريد التحدث معها." لم ترتح العجوز ليلى إلى نظراتهم، وكأنها فهمت بأنه من الممكنٍ أن يكونوا عائلتها. في تلك اللحظة أصابها القلق والصمت الشديد، وبعدها ردت قائلةً: "أنا هنا أعيش لوحدي، المعذرة لكم، أنا لا أعلم شيئًا عن هذه الفتاة." لم يصدق الشاب كلام ليلى، وكأنه شعر بأنها تكذب.

وصلت روزا من التسوق، نزلت من سيارة الأجرة وهي تحمل الكثير من الأكياس والورود، والسعادة لا تفارق وجهها وهي آتية بهديتها. وإذا بها تنظر إلى باب المنزل: "بسام؟!"
اختبأت روزا بسرعةٍ عارمةٍ في البناية التي بجوارها، تنظر إليهم من بعيد حتى ذهبوا. دخلت إلى المنزل وهي ترتجف خوفًا وتقول: "عادوا! عادوا! رأيتهم!" هدأتها ليلى وبدأت تمسح بيدها على وجهها وقالت لها: "اهدئي، لا تخافي، أنا بجانبك." جلست روزا على الأريكة، قدماها لم تتوقفا عن الحركة، التوتر تفشى بها. ذهبت ليلى وجلبت لها كوبًا من الماء الدافئ وهدأت روحها المسكينة.

ليلى: "لمن كل تلك الأكياس يا روزا؟" ردت قائلة: "لكِ يا أمي." بدأت روزا بفتح الأكياس وتقديمها إلى ليلى من ثوبٍ وذهبٍ وعطورات. كانت ليلى فرحة جدًا بأن روزا لم تنسَها.

روزا: "يجب عليّ أن أرحل من هذا المنزل. سيعودون، عائلتي ستأتي إلى هذا المكان لأنهم علموا أنني أعيش هنا. صورتي في كل مكان. عندما ذهبتُ للتسوق لشراء ثوبٍ لكِ، رأيتُ نفسي في التلفاز، وصوري تملأ المكان. حتى أن بعض الأشخاص طلبوا توقيعي وأخذوا صورةً لي. أنا كشفتُ، وعائلتي علمت أنني أعيش هنا."

ليلى لم تنطق شيئًا، وكأن الكلمات التي نطقتها روزا كالسموم نزلت على روحها. لم تصدق أن روزا سترحل من هنا.
بعد مناقشاتٍ عميقة وحوارٍ لا يخلو من الحزن الذي خيّم على قلبهما، أخذت روزا القرار الحاسم وهو الرحيل عن هذا المنزل، وقالت للعجوز ليلى: "سترحلين معي. سنستأجر أحد البيوت الصغيرة ونعيش بها معًا بعيدًا عن هذا المنزل، لأنه أصبح خطيرًا عليّ."

لم توافق ليلى على هذا القرار، وقالت: "لن أترك هذا المنزل يا روزا." ردت روزا: "ولكني لن أستطيع البقاء هنا معكِ." كانت حروف روزا مليئة بالحزن والقسوة على قلب ليلى، لكنها اختارت نفسها على أن تضحي بالبقاء مع ليلى. جمعت نفسها وأخذت كل شيء يخصها في هذا المنزل، وجاءت لحظة الوداع بين ليلى وروزا .

ليلى لم تنطق بكلمة واحدة في هذه اللحظة القاسية التي جعلتها في حالة لا تُفسّر، وكأنها عادت إلى أيام رسال عندما فارقتها وتركتها وحدها تعاني كل تلك السنوات جالسةً منتظرةً عودة ابنتها. روزا تغمر ليلى إلى صدرها، والدموع تنزف على كتفي ليلى. لم يكن هناك أي ردّة فعل من ليلى سوى الصمت، حتى إنه لم يكن هناك دموع في عينيها. ذهبت روزا إلى باب المنزل، التفتت مرةً أخرى ونظرت إلى عينيها وقالت: "وداعًا يا أمي."
هل سيكون هذا الوداع الأخير بيننا؟
رحلت روزا وتركت ليلى وحدها

ذهبت روزا بعيدًا عن هذا المنزل وسحبت أموالها من البنك ووضعتها في الحقيبة. بدأت تسأل المارة عن بيوت للإيجار صغيرة قريبة من السوق. دلها أحد العمال على أحد المكاتب وقال لها: "هناك تجدين ما يناسبك." ذهبت روزا إلى الموقع الذي أعطاها إياه العامل ورأت المنزل المناسب، يتكون من أربع غرف صغيرة. انتهت من العمل على الأوراق والتوقيع واستأجرته. حزمت أمتعتها وبدأت بترتيب ثيابها في الدرج. القلم الأسود ظهر أمامها؛ ظنت أنها لم تأخذه. تذكرت ليلى وبدأت بالبكاء والشهق كطفلة صغيرة فقدت أفضل أشيائها. جلست بجانب النافذة التي تطل على البحر والأشجار، وأمسكت بقلمها الأسود وبدأت الكتابة لتهدئ دموعها، وكانت كلماتها تنص:

"تتطاير الرياح بقوة لتحرك الأشجار، وتتساقط الأوراق منها على الأرض. ولم يستطع أحد أن يعيد تلك الأوراق المتساقطة إلى مجاريها، لكي تبدو شجرة قوية متكاملة."

شبهت روزا نفسها بالشجرة، وشبهت الرياح بالألم الذي يعصف بها، وشبهت تلك الأوراق التي تتساقط على الأرض بأحلامها وآمالها. ولم تجد من يعيد تلك الأوراق إلى مجاريها لكي تبدو قوية ومتماسكة.

وكتبت أيضًا: "أمواج البحر القوية وصوتها يعبران عن حالة الفيضانات التي تحدث بداخلي، ولم يستطع أحد أن يهدئها. حالي كحالك أيها البحر الحزين، لن يستطيع أحد إيقاف تلك الموجات المؤذية من طريقك حتى تبدو بحرًا هادئًا وجميلًا."

شبهت نفسها بالبحر الحزين الذي تضربه موجات مؤذية ومتتالية وعواصف تجعله يبدو بحرًا غير مستقر وهادئ.

كان تشبيه روزا هنا عميقًا وبليغًا جدًا بتلك الأبيات التي تتحدث بها عن نفسها. فما الذي ينتظرها مع مرور الزمن؟

مرَّت أيام عديدة على عيش روزا في هذا المنزل. كان كل يوم يمر عليها كالسنة. كانت تقضي وقتها بالكتابة والجلوس بجانب النافذة، وكتابة كل شيء يزعجها. ولكنها لا تعلم ما هو حال ليلى وكيف أصبحت بعد رحيلها. وإلى الآن لم تسمع شيئًا عنها. بعد مرور أسبوع، قررت روزا أن تعود لزيارة ليلى لأنها لم تستطع أن تنتظر أكثر من ذلك. فهي مشتاقة لها وخائفة أن يكون قد حصل لها شيء أثناء غيابها. جهزت نفسها وخرجت من المنزل وأخذت سيارة أجرة. كانت خائفة من العودة إلى هذا المنزل، ولكنها لم تستطع الانتظار أكثر.

وصلت إلى المنزل وتفقدته من بعيد. لم تجد أحدًا. اقتربت وبدأت تدق باب المنزل، فلم يجب أحد. دقت الباب مرة أخرى، ولم يستجب أحد أيضًا. ذهبت روزا تسأل عنها بائع الكتب.

."قالت: "السلام عليكم

"فأجاب البائع: "وعليكم السلام يا ابنتي روزا، هل رأيت العجوز ليلى؟

نظرات البائع لا تبشر بالخير. يبدو أن هناك شيئًا سيئًا قد حدث لها. عساه خيرًا. لم ينطق حرفًا واحدًا سوى أنه أعطاني مفتاح المنزل. لم أفهم. قلت له: "لماذا أعطيتني المفتاح؟ أين هي؟" قال لي: "هذا المفتاح لك يا ابنتي. أوصتني ليلى به، وقالت لي إذا عدتِ إلى البيت يومًا ما، أن أعطيك هذا المفتاح وأن تقرأي وصيتها الأخيرة التي وضعتها لك في صندوق صغير بجانب السرير."

أصاب روزا الذعر؛ لم تفهم شيئًا من هذا الأمر كله. كل ما تسأل عنه هو: "أين ليلى؟" أخذت روزا المفتاح وذهبت مسرعة إلى البيت. فتحته وذهبت إلى غرفة نومها. وجدت صندوقًا صغيرًا. فتحته، ووجدت فيه رسالة مكتوبة. فتحتها بسرعة...

عزيزتي روزا بيلا، وصغيرتي، كنتُ أعلَمُ بأنكِ ستعودين يومًا ما لقراءة كلماتي الأخيرة. لم أستطِعْ أن أعتادَ على مفارقتكِ. كل شيء في هذا المنزل يذكِّرني بكِ. اعتدتُ الجلوس وحدي وتناول الطعام طوال الخمسة وعشرين عامًا في ظِلِّ غيابِ ابنتي وفلذةِ كبدي، رسال. ولكن في ظِلِّ رحيلكِ لم أستطعِ الجلوسَ على المائدة للحظةٍ واحدة. أشتمُّ رائحتكِ في كلِّ زوايا المنزل. أنامُ على الأريكةِ التي كنتِ تحبِّينها. أرى كلَّ المارةِ شبيهةً لكِ. أسمع صوتكِ فأفزعُ من نومي، أعتقدُ بأنكِ عدتِ، ولكني أتذكرُ بأنكِ رحلتِ.

روزا بيلا، ابنتي، ما زال صوتكِ الجميلُ ينبضُ في كلِّ أنحاء المنزل، وم زالت أنفاسكِ ترافقني في سريري لأستشعرَ وجودكِ بجانبي

خبأتكِ يا صغيرتي في قلبي وفي منزلي، وأعطيتكِ أعظمَ شيءٍ فقدتِه، وهو الأمان. منحتكِ الحبَّ والاهتمام، على الرغم من أنني لم أمنحْ أحدًا هذا الحبَّ بعد رحيلِ ابنتي رسال. رأيتُ داخل عينيكِ ابنتي. كيف لي أن أقبلَ حياتي بعد رحيلكِ؟ في ظِلِّ مجيئكِ إلى بيتي، وكأن الحياة قد عادت إليّ.

سلامًا إليكِ يا صغيرتي الغالية، وسلامًا إلى عينيكِ التي ذبلتْ من الخوف، أحرَّ السلام. صغيرتي روزا بيلا، هذا المنزل قد أصبح ملكًا لكِ
ووصيتي الأخيرةُ لكِ أن تعمري هذا المنزلَ وتجعليه مكانًا لتدريب الأشخاص الذين يرغبون في تحقيق حلم الكتابة. أتمنى أن تحققي ذلك يومًا يا صغيرتي. وداعًا.

ليلى

سقطت روزا أرضًا بعدما قرأتْ هذا المكتوب وبدأتْ تشهق بصوتٍ عالٍ لأنها علمتْ بأنَّ ليلى قد توفِّيتْ. وهي تشهق وتبكي كانت تنظر إلى السَّماء. نورُ الشمسِ كان ينعكس على صورة العجوز ليلى وابنتها التي بجانب السرير. أخذتْ روزا الصورة وغمرتها إلى صدرها وبدأتْ تلامس بيدها وجهَ ليلى وتقولُ بكل ألمٍ وقوةٍ: "سأحقِّق ما تريدينَ يا أمي."

وقفتْ روزا على قدميها وأخذتِ المكتوبَ وصورةَ ليلى. لم تعلمْ كيف قادتها خطواتها إلى الصالة، كانت خطواتُها معقَّدةً جدًا. خرجتْ من المنزل وأغلقته وعادتْ إلى شقتها الصغيرة تفكِّرُ كيف ستعود إلى المنزل وتعمِّره، ولكنها لا تملك المبلغ الكافي لذلك. بدأتْ تفكِّرُ في كل شيء، ولم يجدِ نفعًا. بعد تفكيرٍ طويل، وجدتِ الفكرةَ المناسبةَ، وهي أنها تريدُ عملَ كتابٍ جديدٍ ونشرَهُ. وبالفعل، بدأتْ روزا بكتابة روايةٍ جديدةٍ لها بقلمها الأسود الذي يسردُ الكلامَ بصيغةٍ جميلةٍ وجذَّابةٍ للقراء. جلستْ في شقتها ووضعتْ نفسها في عالم الخيال، تكتبُ روايةً خياليةً حتى انتهتْ منها وقامتْ بنشرها في المواقع الإلكترونية، ووضعته حتى يُباع في المكاتب. وبعد فترةٍ قصيرة، بدأ كتابُ روزا بيلا يضرب السوق من جديد. الجميعُ يبحثُ عنه ليشتريه، أعدادٌ كبيرةٌ لا تُعدُّ قد قرأتْ كتابها واشترته من المواقع الإلكترونية. بدأتِ الأموالُ تجتاحُ روزا من كل مكان، والسوق الذي تعيشُ فيه روزا كان كتابُها منتشرًا به بشكلٍ كبير.

جمعتْ روزا بيلا أموالَها من هذه الرواية وأموالَها القديمة، ورأتْ بأنها تستطيعُ أن تحقِّقَ حلمَ ليلى. وبدأتْ في تعمير منزل العجوزةِ ليلى. وبعد مرور شهور، تعمَّر المنزل وأصبح جميلًا بصورةٍ كبيرة. وقفتْ روزا أمامه وقد وضعتِ اسمه:

مكتبة رسال

هذا المكان مختصٌّ لتعليم الكتابة ودارٌ لنشر القصص والروايات.

الجزء السابع:

مكتبة رسال

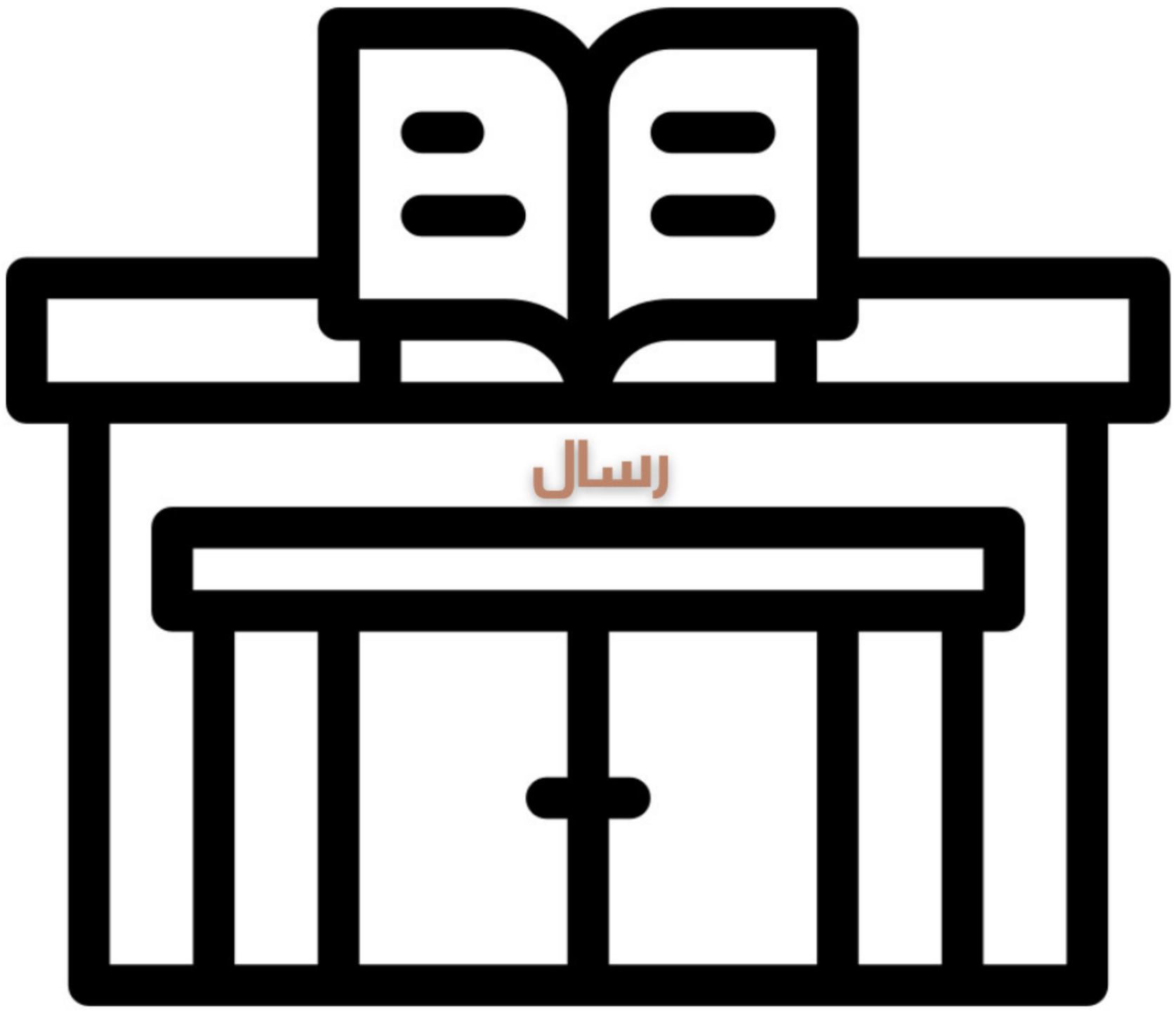

روزا بيلا

كتابة:رغد اللطيف

وضعتْ روزا الكتبَ بها ورتَّبتها، فبدتْ مكتبةً فائقةَ الجمالِ والبساطة. بدأ الناسُ يأتون إلى تلك المكتبةِ لشراء الكتبِ والروايات، ووضعِ أطفالهم بها. وقد عيَّنتْ روزا أشخاصًا لمساعدتها في العمل، وبدأوا في تعليم الكتابةِ للصغار والكبار. وأخيرًا، قد تحقَّقَ حلمُ ليلى.

في يومٍ كانت روزا جالسةً تقرأ في إحدى الكتبِ والجميعُ جالسٌ يقرأ ويتعلم الكتابة. كانت روزا محنيَّةً رأسَها في الكتاب، ومنغمسةً في كلماته. عندما رفعتْ رأسَها، رأتْ شيئًا جعلها تشعرُ بالصدمة.

بسامٌ يقف خلفَ الباب. وقفتْ روزا لكي تستعينَ بأحدٍ كي يحميها من بسام. دخل بسام ودقَّاتُ قلبها تتسارعُ بقوة، قدماها ترتجفانِ كلما اقتربَ بسام خطوةً. تشعرُ بأنَّ نهايتها قد اقتربتْ. عندما وصل بسام، وقف أمامها. ابتسم لها وقال: "اشتقتُ إليكِ يا روزا، بحثتُ عنكِ في كل مكانٍ ولم أجدكِ. يبدو أنَّ يومَ السعدِ لي هو هذا اليوم، لأنني حظيتُ برؤيتكِ."

روزا لم تُصدِّقْ ما يقوله بسام، ولكنها ابتسمتْ له وخائفةٌ منه. اقترب بسام خطوةً وغمرها بقوةٍ إلى صدره، وبدأ يؤلمها في يديها. فجأةً جحظتْ عيناها، لم تستطعْ أن تنطقَ شيئًا، وإذا بقطراتٍ من الدمِ تتساقطُ من ظهرها. غرزَ السكينَ بقوةٍ أكثرَ، وقال لها: "كنتُ أنتظرُ هذه اللحظةَ منذ زمنٍ طويل." أفلتَها من يديه، سقطتْ روزا أرضًا، والدماءُ من حولها تناثرتْ، والأشخاصُ والصغارُ بدأوا يصرخون. الجميعُ اجتمعَ على روزا وأمسكوا ببسام، والشرطةُ جاءتْ بعد قليل. امتلأت المكتبةُ، فما الذي حدث لروزا؟

"روزا! روزا ابنتي؟ استيقظي. أنا ليلى."

فتحتْ روزا عينيها وابتسمتْ، ورفعتْ يدها وبدأتْ تلامسُ عيني ليلى وتقول: "متى عدت كنتُ أعتقدُ بأنكِ ميتة." وقفتْ روزا على قدميها، أمسكتْ ليلى في يدها وقالتْ لها: "هيا يا روزا، لنذهبَ بعيدًا عن هذا العالم."

روزا: "ولكني لا أريدُ الرحيلَ يا أمي، اتركيني هنا."

بدأتْ ليلى تسحبُ روزا بقوةٍ وتقول لها: "ستذهبين معي. أريدُ أن آخذكِ إلى مكانٍ لأحميكِ من هذا العالم."

روزا تصرخُ، لا تريدُ الذهابَ مع ليلى، وليلى تسحبُها بقوة. وإذا بروزا تشعرُ بأنها سقطتْ من أحد الأماكنِ المرتفعة، لتستيقظَ وتشهقَ. تفتح عينيها ببطءٍ، ترى سقفًا أبيض، تميلُ برأسها قليلًا، وتسمعُ دقَّاتِ الأجهزةِ من كل مكان. جاءتِ الطبيبةُ وقالتْ لها: "الحمدُ لله على سلامتكِ، أنتِ بخير، لا تخافي، نحن هنا نهتمُّ بكِ أيتها الكاتبة."

"روزا لم تفهمْ شيئًا مما حصل. سألت الطبيبة: "من الذي أحضرَ هذه الورودَ؟"

قالتِ الطبيبة: "جاءنا بها شخصٌ ووضعها وقال لنا عندما تستيقظين أن نعطيكِ إياها."

سألتها روزا: "من هو؟ ولماذا أنا هنا؟ وماذا حدث لي؟"

أجابتِ الطبيبة: "لا نعلم من هو، ولكنه شابٌّ طويلُ القامة، ذو عينينِ زرقاوينِ وشعرٍ طويل. وقال لنا أن نعطيكِ إياها فورَ استيقاظكِ وأن تقرئي هذا المكتوب."

أعطتِ الطبيبةُ روزا المكتوب. فتحتْ روزا الورقة ببطءٍ، وكانتِ الكلماتُ فيها تقول...

الحمد لله على سلامتك، أتمنى أن تكوني بخير وصحة وعافية. أردت أن أطمئن عليكِ، فمنذ أن أغلقتِ المكتبة وأنا كل يوم أجلس أمامها منتظرًا عودتكِ. اعتدت أن أرى عينيكِ الجميلتين، فقد كنت أزور المكتبة يوميًا لقراءة الكتب، فقط لأحظى برؤيتكِ. منذ أن رأيتكِ لأول مرة، شعرتُ بأنني وجدت الحسناء التي بحثتُ عنها طوال حياتي.

كانت مأساتي أنني لم أتقدم خطوةً واحدة نحوكِ لأخبركِ كم أنا معجبٌ بكِ، رغم أنني لم أُحادثكِ ولا أعلم شيئًا عنكِ أو كيف يبدو صوتكِ. لم يكن يهمني سوى رؤيتكِ، فأنا مشتاق لرؤية ابتسامتكِ الجميلة حين تُحادثين الأطفال، ومشتاق لرؤية شامتكِ بجانب شفتيكِ، التي تجعلني غارقًا فيها.

كنتُ دومًا أنظر إليكِ بتمعن، ولكنكِ لم تشعري أبدًا بهذه النظرات. أصابني حيرةٌ، ولا أعلم كيف ستكون نهايتي مع هذا الإعجاب الذي تحول إلى شعورٍ بالهوس، التفكير بكِ لا يفارقني لحظة. ما زلتُ أنتظر عودتكِ، فلا أستطيع العيش دون رؤية عينيكِ البريئتين، ولن أجرؤ على أن أخبركِ من أنا، لأنني أخشى ألّا تُعجبي بي، وقد بنيتُ كل آمالي عليكِ. سأبقى أنظر إليكِ من بعيد، ولن أملّ من الانتظار...

أصاب روزا الاستغرابُ والدهشةُ من هذا المكتوب؛ من وراء هذا المكتوب؟ ومن هذا الرجلُ الذي كتب كلَّ هذه الحروفِ المليئةِ بمعاني الحبِّ والإعجاب؟ روزا تفكر لتتذكّرَ من هم الأشخاصُ الذين تتعامل معهم في المكتبة، ومن يأتي إلى المكتبة. أتاها شكوكٌ حول شخصٍ ما، ولكنها تريد التأكدَ إذا كان هو أم لا.

بعد مرور أيامٍ، تحسنت صحة روزا بيلا وعادت روزا من جديد إلى عملها، وفتحت المكتبة، وعادوا الجميع، ولكنها لم تنسَ رسالةَ الرجلِ المجهول. كانت كلَّ يومٍ تتفقد المكتبة، ولكنها لم تستطع أن ترى الرجلَ الذي شكت به، تنظر إلى الجميع لعلها تستطيع أن تراه مرةً أخرى من وراء تلك المكتوب.

في يومٍ كانت روزا جالسةً على المقعد، وكانت هناك طفلةٌ تتعلم القراءةَ معها. رفعت روزا رأسها على صوتِ زعيق الباب، وإذا هناك رجلٌ طويلُ القامة، شعره أشقرُ اللون، عيناه زرقاوان، دخل إلى المكتبة. وقف أمام الكتب، وأخذ كتابًا وجلس على الطاولة التي بجانب الباب. روزا لم تُزِحْ عينيها عن هذا الرجل، لأنها تذكرت كلام الطبيبة: "رجل شعره طويل أشقر اللون، عيناه زرقاوان، هذا هو؟" كان شكُّ روزا صحيحًا حوله، ولكنها لم تتوقع أن يكون هذا. أصابها الاستغرابُ من جماله الفاتن: هل يمكن لرجلٍ بكل تلك الجاذبية أن يُعجب بي ويرسل إليَّ الورودَ وهذا المكتوب؟

قالت روزا للطفلة: "سأعود بعد دقيقة، انتظريني". ذهبت روزا إلى الرجل وهي خائفة، ولكن الفضول بدأ يقتلها، تريد أن تتأكد من هذا المكتوب. اقتربت روزا من الطاولة التي يجلس عليها الرجل. كان مُحنِيًا رأسه في الكتاب، روزا واقفة ولم تنطق شيئًا. فجأةً رفع رأسه، ونظر إلى عينيها بتمعنٍ شديد. تتسارع نبضاتُ قلبي بسرعةٍ كبيرة، لم أستطع أن أزيح نظري، غرقت في بحر عينيه، رغم أنني أراه كثيرًا، ولكنني لم أتمعنْ فيه يومًا، ولم أتوقع أن يُحبني يومًا. أدرتُ بظهري، همس لي: "روزا، لم أستطع أن أتخيل أن هذا الشخص هو من كتب لي هذه الرسالة! سبحان من جعل كلَّ هذا الجمالِ والحُسن في وجهه".

ذهبت مسرعة، لا أعلم أين أذهب. خرجتُ من المكتبة، وقفتُ أمامها لأستنشقَ الهواء، لكي أدركَ ما حدث. فُتح بابُ المكتبة، زعيقُ الباب يقلقني. وقف خلفي وقال: "روزا" مرةً أخرى. لم أدرِ بظهري، لا أعلم ماذا أصابني، لم ينتابني شعورٌ غريب كهذا الشعور الذي خيم على قلبي. وقف أمامي، لم أتمالكْ نفسي من تبادل النظرات إلى عينَيْه الممتلئتين بكل حروف البراءة...

قال لها بصوته الخافت: "لم أكن أعلم بأنكِ ستكتشفين من أنا، ولم أرد أن تعلمي من أكون. أحببتُ أن أبقى بعيدًا عنكِ، وكنتُ خائفًا أن لا تُعجبي بي". روزا لم تنطق بشيء، وكأنها في حالةٍ غير طبيعية.
قال الرجل: "روزا، روزا، هل أنتِ بخير؟"
نطقت روزا وقالت: "ما هو اسمك؟"
الرجل: "هادي."
روزا: "لماذا لم تكشف عن نفسك وكنتَ مختبئًا كل هذا الوقت؟"
هادي: "كنتُ مختبئًا لأنني في الواقع كنتُ خائفًا من التقدُّم خطوةً تجاهكِ وإخبارِكِ بأنني معجبٌ بكِ، لأنني كنتُ أعلم بأنكِ لم تعلمي بأمري. أحببتُكِ من بعيد واكتفيتُ برؤيتكِ فقط."
روزا: "شكرًا على الورود وعلى هذا المكتوب، فأنا أقدِّر ذلك، لم أتوقع يومًا أن يُحبني رجل، ولم أجرِّب الحبَّ في حياتي."
هادي: "ما قصتكِ يا روزا؟ ومن هذا الشاب الذي سبَّب لكِ الأذى وتجمَّع الناس والشرطة وملأ المكان؟"
روزا: "لماذا تسأل عن ذلك؟"
هادي: "ظننتُ أن هذا الرجل حبيبكِ وجاء للانتقام منكِ. لا أعلم لماذا وضعتُ هذا السيناريو في رأسي."
ابتسمت روزا وقالت له: "أخبرتكَ قبل ثانية بأنني لم أجرِّب الحبَّ في حياتي، صحيح؟"
هادي: "إذًا، من هذا الشاب الذي فعل ذلك؟"
روزا: "هذا أخي، وليس حبيبي كما تعتقد."
هادي: "وما الذي دفعه أن يفعل هذا بكِ؟"
روزا: "قصتي طويلة، وأنا منشغلةٌ كثيرًا. تركتُ الفتاةَ الصغيرة في الداخل، ومر وقتٌ طويل. أعتذر جدًا عن المقاطعة."
هادي: "روزا، انتظري. هل أستطيع أن أتحدث معكِ اليوم بعد انتهائكِ من العمل؟"
روزا: "حسنًا، ولكن أين؟"
هادي: "سأقوم بعزيمتكِ على قهوةٍ دافئةٍ في هذا الجو البارد."
روزا: "حسنًا."
هادي: "هل أستطيع الحصول على رقمكِ كي نتفق؟"
أخذ هادي الرقم وقال لها: "سأتصل بكِ في الساعة السادسة مساءً."
روزا: "حسنًا، إلى اللقاء."

دخلت روزا إلى المكتبة وأكملت عملها، ولكن عقلها كان منشغلًا بهادي طوال الوقت، منتظرةً قدوم الساعة السادسة مساءً بفارغ الصبر. رغم أنها منشغلة، لكنها كانت تنتظر مرور الوقت. مر الوقت، وأصبحت الساعة السادسة مساءً، وبالفعل، اتصل هادي على هاتفها في الساعة المحددة. ردت روزا، واتفقا على مكان اللقاء. خرجت روزا من المكتبة وأغلقتها، وذهبت إلى الموقع الذي أرسله هادي إليها. كان مكانًا راقيًا كثيرًا، ويبدو أن من يعيش هناك فهو من الطبقة الراقية. دخلت إلى المقهى، ورأت هادي جالسًا على إحدى الطاولات، يشير إليها بيده.

روزا: مرحبًا.

هادي: أهلًا. (ومد يده ليصافح يدها، لكنها خجلت ولم تصافحه، لأنها لم تصافح يد رجل في حياتها).

وقف هادي واقترب من روزا، وأزاح الكرسي إلى الخلف قليلًا وقال لها: "تفضلي بالجلوس."

جلست روزا، لكنها كانت مرتبكة جدًا، فهذه الأحداث جديدة عليها. شعر هادي بأن روزا غير مرتاحة، فقال لها: "روزا، ما هو مشروبكِ المفضل؟"

روزا: "ليس هناك مشروبٌ مفضلٌ لي."

ضحك هادي وقال: "أحببتُ ذلك! اليوم ستتذوقين أفضل مشروب في حياتك، وهو مشروبي المفضل. ما رأيكِ؟"

روزا: "حسنًا."

جاء النادل الذي يقدم الطعام، وأعطى روزا كوبًا ساخنًا وبجانبه كعكة صغيرة.

هادي: "روزا، لماذا لم تشربيه بعد؟ قليلًا وسيبرد ويصبح طعمه غير مقبول."

روزا: "سأشربه الآن."

تذوقت روزا المشروب.

هادي: "ها، ما رأيكِ به؟"

روزا: "طعمه حلو."

هادي: "هذا مشروبي المفضل. كل يومٍ آتي إلى هنا لأحظى بهذا المشروب وتلك الكعكة الصغيرة."

هادي: "ما قصتكِ يا روزا؟ لم تخبريني ذاك اليوم عن أخيكِ، فأنا أريد معرفة ما حصل."

أخبرت روزا هادي القصة كاملة، وعرف هادي قصتها، واندمجت معه، وشعرت بالراحة من كلامه. يبدو أن روزا قد وقعت في شباك هادي. انتهت روزا من القصة، نظرت إلى الوقت وقالت: "يجب عليَّ الرحيل، فقد تأخرت."

هادي: "ولكنكِ أخبرتِني بأنكِ تعيشين لوحدكِ. تأخرتِ على ماذا؟"

روزا: "هناك أعمال في المنزل بانتظاري."

هادي: "حسنًا، كما تشائين."

روزا: "شكرًا على كل شيء."

هادي: "لا تشكريني، فأنا لم أصدق أننا جالسان في مكان واحد. لم أتوقع يومًا أن أجلس أمامكِ وأحادثكِ وتحادثيني."

ابتسمت روزا وخرجت من ذلك المكان.

الجزء الثامن :

وصلت روزا المنزل وانتهت من أعمال البيت، وجلست تفكر في كل شيء حصل معها، وفي هادي وكلماته وعينَيه، فهي لم تحب رجلًا في حياتها. فكرت حتى غلبها النعاس وغفَت.
حلَّ الصباح، واستيقظت روزا على دقات باب المنزل. قالت روزا: "من هذا الذي يدق باب منزلي منذ الصباح؟" كانت خائفة جدًا من فتح الباب. نظرت من فتحة الباب: "هادي؟" فتحت.

هادي: "صباح الخير يا روزا، أعتذر عن الإزعاج، يبدو أنك مستيقظة الآن، لم أكن أقصد قطع نومكِ."
روزا: "لا مشكلة، أهلًا بك."
هادي: "جئت مبكرًا لأنني أريد أن آخذكِ إلى مكان ما."
روزا: "مكان ماذا؟"
هادي: "ولكنها مفاجأة يا روزا، لا أستطيع إخبارك الآن."
روزا خائفة ومترددة من الإجابة.
هادي: "لا تخافي يا روزا، لن أفعل شيئًا يضر بكِ، أنا فقط جئتُ كي أسعدكِ بشيء بسيط."
روزا: "حسنًا، ولكن اليوم لدي عمل كثير في المكتبة."
هادي: "هل تستطيعين تأجيل العمل اليوم؟"
روزا تفكر: "... حسنًا."
هادي: "إذًا، هيئي نفسكِ، سأنتظركِ هنا."
روزا: "تفضل بالدخول."
دخل هادي وجلس على الأريكة التي في الصالة. بدأ يتجول في الصالة حتى تنتهي روزا من تجهيز نفسها. وقف هادي بجانب النافذة التي تجلس أمامها روزا والتي تكتب كل شيء بجانبها. كانت هناك ورقةٌ فارغة بيضاء وبجانبها القلم الأسود. أمسك القلم الأسود، ولكنه وقع من يده فور إمساكه. نزل إلى الأرض ليمسك به مرة أخرى، فوجده ساخنًا، لم يستطع أن يمسكه. أصاب هادي الاستغراب وهو جالس على الأرض يحاول الإمساك بالقلم، جاءت روزا ورفع رأسه.
نظر إلى روزا نظرة اندهاش، كانت مرتديةً فستانها الأسود، وشعرها كان ناعمًا جدًا، وشفاها مرسومة، وعيناها تبرقان من انعكاس ضوء النافذة على وجهها.
هادي: "يا الله، ما أجملها!"
روزا: "هادي، هادي؟"
هادي: "أعتذر، فقد وقع هذا القلم من غير قصد."
روزا: "لا مشكلة."
هادي: "لم أستطع أن أمسكه، فهو ساخن."
روزا نزلت إلى الأرض، وأزاحت شعرها عن وجهها وأمسكت القلم ووضعته على الطاولة.
هادي: "كيف ذلك؟ عندما أمسكتُ به وقع من يدي، وعندما حاولتُ أن أعيده من الأرض إلى الطاولة كان ساخنًا جدًا."
أصاب روزا الاستغراب من هذا الكلام، وفكرت بأن هادي يبالغ كثيرًا.
ردت روزا: "هل تستطيع أن تلمس القلم مرة أخرى؟"
هادي مد يده وشعر بالحرارة الكاملة تصيب يده، فأزاحها فورًا وقال: "إنه مؤذٍ جدًا، كيف استطعتِ إمساكه؟"
روزا أصابها الدهشة والاستغراب: "لماذا عندما أمسك هادي القلم حصل ذلك، وعندما أمسكته أنا لم أشعر بشيء؟"

بدأ هادي ينظرُ إلى القلمِ بشكلٍ عجيبٍ ومستغرب، نظراتُ هادي غيرُ مريحةٍ إلى القلم، شعرَ بأنه قلمٌ عجيبٌ وغريب، وربما يكونُ سعرُهُ غالي الثمن.
روزا: "هادي، أين سرحتَ؟"
هادي: "لا شيء، هيّا يا روزا، تأخرنا على الذهاب."
خرجا من المنزلِ وذهبا معًا، وصلا إلى المكانِ الذي يريدُ مفاجأتها به. اندهشت روزا من المنظرِ، كان مكانًا مليئًا بالخيلِ والأشجار، وكأنها في عالمِ الخيال. "كيف علمَ هادي بأنني أُحبُّ الخيل؟"
هادي: "ما رأيُكِ بهذه المفاجأةِ؟"
روزا: "كيف علمتَ بأنني أُحبُّ الخيل؟"
هادي: "عندما قرأتُ كتابكِ الذي نشرتِهِ في الآونةِ الأخيرة، كنتِ قد كتبتِ في إحدى الصفحاتِ هذا المشهد، عندما يصحبُها بطلُ الروايةِ إلى هذا المكانِ ويُفاجِئُها به. لا أعلمُ لماذا اخترتِ هذا المشهد بالتحديد، لكن شعرتُ بأنكِ تُحبين الخيلَ والأشجار، لأن وصفَكِ للخيلِ في تلك الصفحةِ يُظهرُ مدى محبتكِ وانتمائكِ لهم."
روزا (ابتسمت وقالت): "لا أعلمُ ماذا أقول ، لم أشعرْ يومًا بأنني في قمَّةِ السرورِ كما شعرتُ الآن معك."
ابتسمَ هادي وقال: "هيا كي تركبينَ الخيل."
روزا: "ولكني لا أستطيعُ أن أفعلَ هذا، فأنا لم أركبْ خيلًا في حياتي."
هادي: "لا تخافي، أنا معك. ولكن قبل ذلك يجبُ أن تُغيِّري هذا الفستانَ وترتدي ملابسَ خاصةً بركوبِ الخيل."
اصطحبها هادي إلى غرفةٍ، كانت هناك امرأةٌ شقراءُ جميلةٌ جدًا، يبدو بأنها امرأةٌ غير عربية. كان هادي يُحادثُها باللغةِ الأجنبية، أخذ الملابسَ الخاصةَ بالخيلِ وأعطاها إلى روزا وقال لها: "غيِّري فستانَكِ، سأنتظركِ في الخارج."
أخذتْ الملابسَ وغيَّرتْ فستانَها، وخرجتْ من الغرفة. وقفتْ من بعيدٍ تنظرُ إلى هادي وهو على الخيل، وكأنَّهُ الأميرُ الذي وصفتهُ في روايتِها الأخيرة. يبتسمُ لها من بعيد، ابتسامتهُ الجميلة قد أذابتْ فؤادَها. تتطايرُ خصلاتُ شعرهُ الشقراءُ كلما تحركَ خطوةً على الخيل.
يشيرُ لها بيدهِ أن تأتي. ذهبتْ إليه، نزلَ عن الخيل، وأمسكَ بيدها ورفعَها إلى الخيل. كانت خائفةً جدًا من السقوط.
روزا: "هادي، أنا خائفة."
هادي: "لا تخافي يا روزا، فالحصانُ يمشي بخطواتٍ بطيئةٍ ولن يُؤذيكِ، صحيحٌ يا روب؟"
روزا: "هل اسمه روب؟ كيف سميتَهُ بذلك؟"
هادي: "هذا الخيلُ لي، ربيتهُ منذ صغري، وهذا المكانُ أيضًا لي. فأنا أُحبُّ الخيلَ منذ صغري، وكانت هوايتي ركوبَ الخيلِ والكتابة."
روزا شعرتْ في تلك اللحظاتِ بأنها وجدت نصفَها الآخر.

اندهشت روزا من كلامِ هادي، وكل مرةٍ يتحدث فيها هادي تغرقُ روزا في كلماته الجميلة. في كل مرة يبدو لي أنه رجلٌ مثالي وكأنه خارجٌ من إحدى الروايات.
بدأ هادي في تعليم روزا ركوبَ الخيل. تعلمت روزا وسقطت ووقفت، وضحكا معًا وأكلا أشهى الأطباق وتبادلا النظرات. ومرَّ الوقت وتأخرت روزا، فطلبت العودة إلى المنزل، وأعادها هادي إلى منزلها.
ومرَّت شهور، وكل يومٍ يتقابلان وتتحدث روزا معه وتراسله من المواقع، وتراه في المكتبة، ويأكلان في منزلها. هادي قد ملأ حياة روزا بالسرور والبهجة، ولكن هل النهاية ستكون جميلة كالبداية؟
بعد أن وثقت روزا به وتعلقت به، أحبته إلى حدِّ الهوس، لأنها لم تُحب رجلًا في حياتها، وهادي كان الحبَّ الأولَ لها. في يومٍ كانا جالسين في منزلها يتناولان الطعام.
روزا: "هادي، متى ستتزوجني ونعيش في منزل معًا؟"
هادي: "بالطبع يا عزيزتي، قريبًا جدًا."
روزا: "هادي، لماذا لم تعرّفني على عائلتكَ كل هذا الوقت؟ ألم تحدثهم يومًا عني؟"
لم يستجب هادي فورًا. في تلك اللحظة شرب الماء، وردَّ بعدها: "بالطبع يا حبيبتي، أخبرتهم، ووالدتي أحبتكِ كثيرًا من كلامي."
ابتسمت روزا وقالت: "أريد رؤيتها، هل تستطيع أن تأخذني إلى منزلك لرؤية والدتك والتعرف على عائلتك؟"
بدأت تعابير وجهِ هادي تتغير، حتى نظراته.
روزا: "ما بك يا حبيبي؟"
هادي: "لا شيء، حسنًا، عندما يكون الوقت مناسبًا سأخذك إلى منزلي لتتعرفي على والدتي."
لم تكن روزا مرتاحةً لوجه هادي في هذه اللحظات.
هادي: "شبعتُ، شكرًا لكِ على هذا الطعام الرائع يا حبيبتي. فهل ستكونين طباخةً ماهرة في منزلنا؟"
ضحكت روزا وبدأت في نقل الطعام إلى المطبخ.
جلس هادي في الصالة وروزا تنظف المطبخ. كان هادي ينظر إلى القلم طوال جلوسه، لكنه خائفٌ جدًا أن تأتي روزا في أي لحظة. يبدو أن هادي قد خطط كثيرًا ودرس الأمر طوال هذه الشهور التي كان يزور فيها روزا. وضع عليه شريطةً ناعمة، وأنزل القلم في صندوق صغير وأغلق الصندوق ووضعه في جيبه، وعاد وجلس على الأريكة. مرَّ وقتٌ قصير، وانتهت روزا من التنظيف وجاءت وجلست بجانب هادي وغمرها إليه حتى غفَت. حملها ووضعها على السرير وخرج من المنزل.

روزا بيلا

كتابة:رغد اللطيف

مر وقتٌ على نومِ روزا، استيقظت روزا مبتسمة، تتذكر كيف حملها هادي إلى السرير، وكيف كانت ليلة البارحة. عيناها تنظر إلى نافذةِ الغرفة، يبدو أنَّ الصباحَ قد حلَّ. ذهبت إلى المطبخ لتحضر كوبًا من الشاي الدافئ وأخذته إلى مكانها المعتاد في الصالة، فهي تستيقظ دوما في هذا الوقت لكي تكتب. وصلت روزا إلى الصالة، تنظر إلى الطاولة، القلم غير موجود! اعتقدت أنه على الأرض، نزلت على الأرض تُفتش عنه في كل مكان، لم تجده. مر الوقت، وأصابها الخوف من أن لا تجده، فهي في الماضي جربت كثيرًا أن تكتب بقلمٍ غيره ولم تستطع أن تسرد الكلام كما يسرد هذا القلم العجيب الكلام لها.

"هادي؟ هادي؟"

اتصلت على هادي، ولكن الرقم المطلوب غير موجود. جاءت لترسل له رسالة، وجدته قد حظرها من جميع المواقع.

خرجت روزا من البيت مذعورة، تائهة في الشوارع، تبحث عن هادي في كل مكان، تبحث، تبحث، لم تجده. لم تفكر بشيء سوى مكان الخيل الذي أخذها إليه. ذهبت إلى هناك ودخلت، وجدت هناك رجلًا كبيرًا، سألته عن هادي وهل هو موجود هنا؟

رد الرجل: "من هادي؟ أتقصدين هادي الذي يعمل لنا ويرعى الخيل؟"

روزا: "ماذا تقصد؟ هادي قال لي بأن هذا المكان له."

ضحك الرجل وقال: "هادي يحب المزاح كثيرًا، هذا المكان لي، وهادي يعمل هنا منذ سنواتٍ لكي يُعيل عائلته بعدما توفى والده وهو في عمر صغير. تزوج من جديد ولديه طفلان، ويعمل لنا حتى يُعيل عائلته. من أنتِ يا ابنتي وكيف يمكنني مساعدتكِ؟"

روزا لم تنطق بكلمة واحدة، سوى أن تعابير الصدمة قد قتلتها. خرجت من المكان تمشي كالتائهة في الشارع، بعينيها الجاحظتين من هول الصدمة. "هل كان كل ذلك وهمًا؟ كل ما كان بيني وبين هادي، كيف حدث هذا؟"

جلست على الأرض تبكي وتشهق بقوة، حتى رأتها طفلةٌ صغيرة. اقتربت منها وأعطتها منديلًا. نظرت روزا إلى الطفلة، وقفت ولم تأخذ منها المنديل. كانت روزا في حالة صدمة لم تتوقعها يومًا. الرجل الذي أحبته ووثقت به قد خدعها طوال هذا الوقت، وأوهمها في محبته وسرق قلبها. عادت روزا إلى المنزل وهي مصدومة، لم تدرك ما حصل.

تنظر إلى هاتفها وترى أن هادي قد حظرها من كل مكان، ورقمه الخاص لا يستجيب. لم تتمالك روزا نفسها، بدأت تصرخ وتحطم كل شيء، حتى جرحت يديها. سقطت على الأرض تبكي وتقول: "لماذا؟ لماذا يا الله؟" راودتها الفكرة الأهم من كل ذلك، وهي كيف ستعيد القلم ؟ تفكر، تفكر.

جلست على الأرض تتذكر كلام الرجل، بأنه قال إن هادي سيعود اليوم بالأمس لأن لديهم عزيمة كبيرة، وبالتأكيد سيأتي.

عادت روزا إلى مكانِ عملِ هادي وبقيت هناك جالسةً من بعيدٍ حتى حلَّ الظلامُ بالمكانِ. يبدو أنَّ هادي لن يأتي، فالوقتُ قد تأخَّر. روزا فقدت الأملَ من مجيئِه، ولكنَّ كلَّ ما تفكر به هو كيف ستُعيدُ القلمَ. يئست روزا وقررت العودةَ إلى المنزلِ، وفي طريق عودتها رأت ضوءَ سيارةٍ قد دخل إلى المكانِ. اختبأت روزا بين الأشجارِ، وإذا بها ترى هادي ومعه امرأةٌ كبيرةٌ نزلت من السيارةِ، ونزلت من المقعدِ الخلفيِّ فتاةٌ يبدو أنها زوجتُه، ومعها طفلانِ. عندما رأيتُهم، تناثر الألمُ في صدري؛ كنتُ أعتقدُ أنَّه أحبَّني. أمسك هادي بيدي طفليهِ ودخلوا إلى المكانِ. كنت أنظر إليهم من بعيدٍ؛ يبدو أنَّ هناك عزيمةً كبيرةً. أنظر إلى هادي وهو يضحك مع زوجتهِ ويلعب مع طفليهِ. فأنا من تمنيت يوماً أن أكون أنا أمَّ أطفالهِ، ولكني لم أكن على علمٍ بأنني عشتُ وهماً قاسياً. عدتُ إلى سيارةِ هادي أنظر من نافذتها لعلي أستطيع الوصول إلى القلمِ. أفكر كيف سأفتح النافذةَ، لم أجد حلاً غيرَ أن أحطِّمَ زجاجَ السيارةِ. جئتُ بخشبةٍ كبيرةٍ وحطمتُ الزجاجَ. أصابني الخوفُ أن يسمعوا صوتَ الزجاجِ. بدأتُ في البحثِ عن قلمي في كلِّ مكانٍ، وإذا بي أفتح الدرجَ الذي في المقعدِ الأماميِّ، وجدتُ صندوقاً. فتحته، يا إلهي، لا أصدق أنني وجدته. وأنا أنظر إلى القلمِ وأقول: "الحمدُ للهَ يا ربي". كان هادي قد عاد إلى سيارتِهِ. خرجت روزا من السيارةِ مسرعةً تركض.

هادي: "روزا، روزا...".

لم تتوقف روزا عن الركضِ حتى ابتعدت عن المكانِ، وأضاعت هادي في الطريقِ. جلست على إحدى الأرصفةِ تبكي وتصرخ بخيبةِ أملها الأخيرةِ، فقد حُطِّم فؤادُها.

اختارت روزا بيلا الابتعادَ وعدمَ العودةِ إلى فهمِ الأسبابِ التي دفعت هادي لخداعِها طوالَ هذا الوقتِ، رغمَ أنها لم تفعلْ شيئًا سوى محبتِه. روزا بيلا فعلت الصوابَ والمنطقَ في واقعِنا نحن؛ عندما نُخذَلُ من أقرب الأشخاصِ إلى قلوبِنا، نعود إلى فهمِ الأسبابِ والمعاتبةِ المستمرةِ. لا بد منها في فهمِ: "ما الذي دفعك إلى فعلِ ذلك بي؟ أنا لا أستحق هذا؟" ونبقى في دوامةِ الضحيةِ في هذا الأمر. روزا بيلا اختارت نفسها على أن تبقى وتجازفَ أكثر من أجل فهمِ ما حدث. اكتفت بالرحيل...

أنا شئتُ أرحل لن أعودَ إلى سرابٍ وأهيمُ في دنياي أحتَرِقُ الغيابَ
أحرقتُ دمعةَ ذكرياتي
حطمتُ سجني والقيودَ
أحرقتُ دمعةَ ذكرياتي، آه ذكرياتي
حطمتُ سجني والقيودَ

لن أعودَ إليك رغم أنني سأحترق من الغيابِ والحنينِ، لن أعودَ إلى محبتك، فلتكن هذه المرةُ الأخيرةُ التي ستراني بها.
وحياتك أنا لن أعود.
كيف استطعتَ أن توهمني بهذا الحب طوالَ هذا الوقت؟
أنت لا تمتلك شيئًا من الحب. من البدايةِ أغرقتني بك وأوهمتني في بحر العشق بأننا سنعيشُ معًا. لم أحبَّ رجلًا في حياتي، كنتَ أنت الرجلَ الوحيدَ الذي أحبه قلبي وأذاب فؤادي. كتبتُ إليك الكثير من الرسائل، سهرتُ لأجلك الليالي. لم أكن أعلم أنك لا تستحق حرفًا واحدًا. كيف استطعتَ أن تخذلني؟

شعرتُ لأول مرةٍ في حياتي بأن السعادةَ قد اختارت طرقَ أبوابي، ولكني لم أكن على علمٍ بأنها ستكون سعادةً مؤقتةً وستقتلني هذه الأبواب يومًا ما. جعلتني أحبك بكل ما فيَّ. أراك في كل مكانٍ وكل العابرين في طريقي شبيهينَ إليك.

خدعتني بمشاعرك المزيفةِ طوال هذا الوقت، وأنا تحت استغفالك ووهم محبتك. أغرقتني في بحر محبتك الزائفة. فلتذهب إلى الجحيم، ولتصبك لعنة الله أينما وُجدتَ على كل ما أغرقتني به من ألمٍ وخيبةٍ. ليتك بقيت عابرًا لا أعرف سوى وجهِه. ليتني لم أجعلك تخترقني يا أخذلَ العابرين في حياتي.

من قال إني قد أعودُ
وأبيع ثانيةً حياتي، حياتي
وحياتَه أنا لن أعود
لن أعود، لن أعود، أنا لن أعود

روزا بيلا

روزا بيلا

كتابة:رغد اللطيف

فهل كانت تلك النهاية؟

الجزء العاشر:هادي

وصلتْ روزا إلى منزِلِها في تلكَ الليلةِ التي فقدتْ فيها نفسَها. هادي كان يعلمُ أنَّ روزا قد ذهبتْ إلى بيتِها، ولكنه لم يجرؤْ على ملاحقتِها بعدَ كلِّ ما حدث. ويمكننا القولُ إنَّه لم يكن لديه وجهٌ ليواجهها. فهل كان حبُّ هادي زائفًا أم أن هناكَ قصةً لم تفهمْها روزا؟

مرَّتِ الأيامُ كالدهرِ على روزا في منزلِها، مهزومةً، مُنعزلةً عن العالمِ وعن العملِ. توقَّفتْ عن الكتابةِ ولم تخرجْ من البيتِ لعدَّةِ أيامٍ، منكسرَةً، ولم تجدْ من يُرمِّم لها هذا الكسرَ الذي زرعهُ هادي في قلبِها.
في يومٍ ما، في الساعةِ الواحدةِ بعدَ منتصفِ الليل، كانت روزا جالسةً بجانبِ النافذةِ التي اعتادت الجلوسَ بجانبِها، تستمعُ إلى صوتِ المطرِ الذي جعلها تشعرُ بالراحةِ والهزيمةِ في آنٍ واحد. كانتْ تشعرُ بشعورَيْن مختلفَيْن: سعادةٍ لأنَّ الأجواءَ ماطرةٌ، وتعاسةٍ لا تطفئها تلكَ الأجواءُ.

وهي تنظرُ من النافذةِ، إذا بصوتٍ يصرخُ من بعيدٍ: "روزا... روزا!" بصوتٍ عالٍ جداً. روزا أخافَها هذا الصوتُ، ولكنَّها شعرتْ أنَّه صوتٌ ليس غريباً عليها. فتحتِ النافذةَ، وإذا بها تراه... إنه هادي!
هادي يقفُ تحتَ النافذةِ، ثيابُه وشعرُهُ مبلَّلةٌ من شدَّةِ الأمطار. ينظرُ إلى روزا ويقولُ بصوتٍ عالٍ: "لم أُحبَّ أحداً في حياتي كما أحببتُكِ يا روزا، ولكنِّي كنتُ مجبَراً على الزواجِ من تلكَ الفتاةِ التي رأيتِها في تلكَ الليلة. فهي ليست حبيبتِي، وإنما زوجتي التي أُجبرتُ على الزواجِ منها بأمرِ والدتي، رغم أنني كنتُ صغيراً جداً، ولكني لم أقدرْ أن أكونَ حُراً بعيداً عن هذا الزواج.
فأنا أحبُّكِ يا روزا بكلِّ ما يحملُه الحبُّ من مشاعر."

هادي يصرخُ ويعبِّر عن حزنِه ومحبَّتِه لروزا، وإذا بأحدِ الجيرانِ يخرجُ على صوتِ هادي ويبدأُ بالجدالِ معه قائلاً: "الناسُ نائمةٌ، وأنتَ تصرخُ وتزعجُ الآخرينَ في هذا الوقتِ المتأخر! اذهبْ قبلَ أنْ أشتكيكَ للشرطة."

وهنا حصلتِ المشكلةُ الكبيرةُ، فقد نزلَ الجارُ من منزلِهِ وبدأ بضربِ هادي.
روزا: "لم أرَ هادي بتلكَ الصورةِ المهزومةِ في حياتي، لم أستطع أن أتحمَّل أن يُؤذى الرجلُ الذي أحببتُ. كنتُ خائفةً جداً عليه، فنزلتُ مسرعةً من المنزل، أصرخ: "اتركه! اتركه!"
لم يستطع هادي الدفاعَ عن نفسِه حتى ذهبَ الرجلُ وتركَ هادي أرضاً، والدماءُ تنزفُ من وجهِه.
أخذتْ روزا هادي إلى منزلِها وبدأتْ في تعقيمِ تلكَ الجروحِ التي في وجهِه، والدموعُ تسيلُ على خدَّيْها. هادي ينظرُ إلى روزا نظرةَ ألمٍ، لم يقدرْ على قولِ شيءٍ سوى أنَّ الهدوءَ قد احتاجهُ من كلِّ جانبٍ. وأخيراً نطقَ هادي وقالَ لها: "صدقيني أنني أحببتُكِ كثيراً يا روزا، وأنني كنتُ مجبَراً على تلكَ الفتاةِ..."

روزا: لماذا خَدَعتني يا هادي طوالَ هذا الوقتِ ولم تُخبرني بأنك متزوجٌ ولديكَ طفلان؟
هادي: لم أكنْ قادرًا على إخبارِكِ، ولم أستطعْ أن أخبرَ والدتي عنكِ، فلو أخبرتُها لجعلتْ من حياتِكِ جحيمًا، وأنا لا أريدُ أن أكونَ سببًا في ذلك.
روزا: لماذا سرقتَ قلمي؟

هادي: لم أكن أتعمدُ ذلك، صدقيني. كنتُ أريدُ معرفةَ السرِّ وراءَ هذا القلمِ الغريبِ، وأرغبُ في السؤالِ عنه وإعادتِه لكِ في أقربِ وقتٍ.
روزا لم تُصدِّقْ كلامَ هادي، وشعرتْ بأن حديثَه مليءٌ بالأكاذيبِ التي لا تحتمل.
هادي: صدقيني يا روزا، كنتُ مجبرًا على كلِّ شيءٍ، على الزواجِ من تلكَ الفتاةِ، وعلى حياتي. فأنا لم أرغبْ في تلكَ الحياةِ. وليشهدِ الله أنني أحببتُكِ. ولكن في ذاك الوقتِ الذي حظرتُكِ فيه من جميعِ المواقعِ، كانتْ زوجتي قد شَكَّتْ فيَّ، ولم أُرِدْ أن تعلمَ بأن هناك قصةَ حبٍّ تدورُ في حياتي. كنتُ خائفًا عليكِ من أذى عائلتي، وأردتُ الرحيلَ. وفي ذلك اليوم، كنتُ مجبرًا على أن أحظركِ من المواقعِ والاتصالات، وكان القلمُ معي. تركتُه في السيارة، ولم أكن قادرًا على إعادته لكِ فورًا. أنتِ جئتِ إلى مكانِ العزيمةِ ورحلتِ في ذلك اليوم ولم تفهمي الحقيقة.
روزا: أريد أن أسألَك شيئًا.
هادي: تفضلي.

روزا: لماذا خدعتني بأنَّ هذا المكانَ لكَ، وأن ذاك الحصانَ لك واسمه روب، وأنك اعتنيتَ به منذ سنواتٍ، وأنك تحبُّ الخيلَ منذ صغرك؟ عندما ذهبتُ إلى ذلك الرجلِ الكبيرِ الذي كان هناك وسألتُه، قال إن هذا المكانَ له، وأنك تعملُ لديهم منذ سنواتٍ.
هادي: أردتُ أن أكونَ بطلكِ كما كتبتِ في روايتكِ الأخيرة، بأنَّ الأميرَ عندما أعجبَ بالأميرةِ أخذها إلى مكانِ الخيل، وكان المكانُ له. أردتُ تجربةَ الشعورِ، وأن أكونَ في عينيكِ كما وصفتي في كتابِك. أردتُ أن أبهركِ بكل شيءٍ، حتى لو كان على حساب الأكاذيب.
روزا لم تنطقْ شيئًا، ولكنها لم تَعُدْ تُصدِّقُ هادي بعد كل ما حدث معها.
روزا: كيف سأصدِّقك يا هادي بعد كل ما فعلته؟

هادي: صدقيني بأنني أحببتُكِ وانتظرتُكِ كثيرًا، وأردتُ الزواجَ بكِ بأيِّ طريقةٍ، وإنجابَ أطفالِنا الذين حلمنا بهم معًا. ولكن والدتي وزوجتي وأطفالي في طريقي، لم أستطعِ النجاةَ من هذا...
أمسكَ هادي بيدي روزا وقالَ لها: صدقيني يا روزا، أنا لا أستطيعُ فعلَ شيءٍ سوى النظرِ إليكِ من بعيدٍ، والتحسرِ على عدم قدرتي على التقدُّم خطوةً جادةً نحوكِ...

بكَتْ روزا من كلامِ هادي، وقالتْ بكلِّ ألمٍ وحسرةٍ: "لم أُحبَّ رجلًا في حياتي. كنتَ أنتَ الحبَّ الأولَ والوحيد. كنتُ أريدُ أن نَبني حياتَنا سويًّا، وأن نَملأَ منزلَنا بالأطفالِ الذين حلمنا بهم معًا. عندما رأيتُكَ تُداعبُ أطفالَكَ، اشتعلتِ النيرانُ في صدري ولم أجدْ شيئًا يُطفئها، وعندما أمسكتَ بيدِ زوجتِكَ لم أحتملِ النظرَ إليكَ. أزحتُ عينيَّ عن النظرِ إليكما، لأنني أنا مَن رسمتُ هذه الحياةَ معكَ ومع أطفالِنا. لم أحتملْ رؤيتَكَ مع فتاةٍ غيري.

عندما عدتُ إلى المنزلِ في تلك الليلةِ كنتُ مُحطَّمة. غفوتُ على الأرضِ في تلك الأجواءِ الباردة، لم أحتملْ هذه الصدمةَ القاتلةَ في حياتي. كنتُ أعتقدُ أن الله أرسلكَ في طريقي عوضًا عن ما مررتُ به في حياتي."

تغلغلتِ الدموعُ في عينيْ هادي بعدما سمعَ ما قالته روزا، وغمرَها بكلِّ شوقٍ إلى صدرهِ، وقال لها: "أعدكِ يا روزا أن أُعوِّضكِ عن كلِّ ألمٍ قد مررتِ به في حياتكِ، وعن كلِّ شعورٍ سيئٍ قد جعلتُكِ تشعرينَ به بسببي. لم أتعمدْ ذلك. سأحاولُ جاهدًا أن أجدَ الطريقةَ لكي أتخلَّص من عائلتي وأتزوجكِ في أقربِ وقتٍ ممكن... أعدكِ."
انتهتِ الليلةُ بسلام، وعادتْ روزا إلى هادي وعادا كالسابق. ولكن ما الذي ينتظرهما؟ خرجَ هادي من منزلِها وذهبَ إلى البيت، وغفَتْ روزا على الأريكةِ التي في الصالةِ حتى حلَّ الصباح، وعاد الحبُّ من جديد...

هل يجبُ على روزا أن تُصدِّقَ هادي وتنتظرَه، أم أنَّ هادي سيخدعُ روزا مرةً أخرى؟

حلَّ الصباحُ على روزا وقرَّرت العودةَ إلى مكانِ عملِها من جديدٍ. حضَّرت نفسَها وخرجت من المنزل، وأخذت إحدى سياراتِ الأجرةِ حتى أوصلها السائقُ إلى مكتبتِها. اقتربت من بابِ المكتبة، وإذا هناك باقةُ ورودٍ كبيرةٌ جدًّا على الباب. ابتسمت روزا قبل أن تقترب من تلك الورود؛ كانت تعلم أن هادي هو من أرسلها لها. حملتْها واشتمَّتْ رائحتَها في هذا الصباحِ الجميلِ والأجواءِ الماطرةِ، وشعرتْ بالانتعاشِ اللطيفِ. كان هناك مكتوبٌ صغيرٌ، فتحته روزا بكلِّ حبٍّ وهدوءٍ. كان المكتوبُ يقول: "مكانُ اللقاءِ في ذاك الشارعِ في الساعة السابعةِ مساءً." كانت روزا فرحةً لأنها سترى هادي ويتحدثان.

دخلت روزا إلى المكتبةِ، وعاد الجميعُ والأطفالُ، وعادت المكتبةُ كما كانت من قبل. كان يومًا مليئًا بالسرورِ على قلبِ روزا، وكانت تنتظر انتهاءَ عملِها والذهابَ إلى موعدِ اللقاء.
انتهت روزا من العملِ وأغلقت المكتبةَ، ولكنها كانت مستغربةً: لماذا لم يتصل بي هادي طوال هذا الوقت؟ ولكنها أيضًا كانت فرحةً لأنها ستجتمع بهادي بعد قليل. عادت روزا إلى المنزلِ، وحضَّرت نفسَها، وارتدت أجملَ الثيابِ، وسرَّحت شعرَها، وضعت مساحيقَ التجميلِ على وجهِها حتى انتهت من كلِّ شيءٍ وخرجت من المنزلِ حتى وصلت إلى مكانِ اللقاء. كان المكانُ مهجورًا مليئًا بالأشجارِ والبيوتِ القديمةِ. روزا لم تكن تتوقع أن هادي ينتظرُها في هذا المكانِ البعيدِ عن الشارعِ! اعتقدتْ بأنها مخطئةٌ بالطريق، ولكنها نظرت إلى هاتفِها، فالموقعُ يُعطيها بأنها في المكانِ الصحيح. بدأ الظلامُ يتفشَّى في المكانِ، قررت روزا العودةَ وشعرت بالهزيمةِ لأنها لم تجد هادي.
وإذا هناك صوتٌ يقول: "روزا، روزا!" خافت روزا ولكنها أدركت أنه هادي. قالت روزا: "اخرج، كفَّ عن المزاحِ يا هادي، أين أنت؟"

خرج هادي من وراءِ الشجرةِ وهو مبتسمٌ. رأته روزا وابتسمت. اقترب وقال لها: "لقد وعدتُكِ يا حبيبتي بأن أُعَوِّضَكِ عن كل ما عانيتِه في حياتِكِ، وأنا بقيت عند وعدي."
نزل هادي على ركبتيه أمام روزا وقال لها بكل حبٍّ: "هل تقبلين الزواج بي؟"
روزا لم تُصَدِّقْ ما حدث ولم تُدْرِكْ يومًا معنى السعادةِ سوى في تلك اللحظةِ التي شعرت بأن سعادةَ الكونِ قد أصبحت ملكًا لها. ابتسمت وهزَّت برأسِها موافقةً. أمسك هادي يدَها وألبسها الخاتم. ابتسمت روزا ولم تُصَدِّقْ ما حدث. اقترب هادي وغمرها بقوةٍ إلى صدرِه وقال لها: "فقد أصبحتِ ملكًا لي."

بعد مرور سنوات :

هادي وروزا متزوجان، يعيشان معًا في منزلِ روزا. كان هادي يجلسُ على الأريكةِ يشاهد التلفاز، بينما كانت روزا في المطبخِ تُحَضِّرُ العشاء. انتهت روزا من تحضيرِ الطعامِ وجَهَّزَتْ طاولةَ الطعام. جاء هادي وجلس. صرخت روزا بصوتٍ عالٍ: "رسال، ماما! هَيَّا يا حبيبتي، فقد أَحضرتُ العشاء!" جاءت رسال وجلسَتْ في حِضنِ هادي. سكب هادي الطعامَ لرسال وبدأ يُقَبِّلُها بكل هدوءٍ ويقول لها: "كم أنتِ جميلةٌ يا رسال كجمالِ والدتِكِ." ابتسمت روزا إلى هادي، فهذا ما كانت تتمناه ....

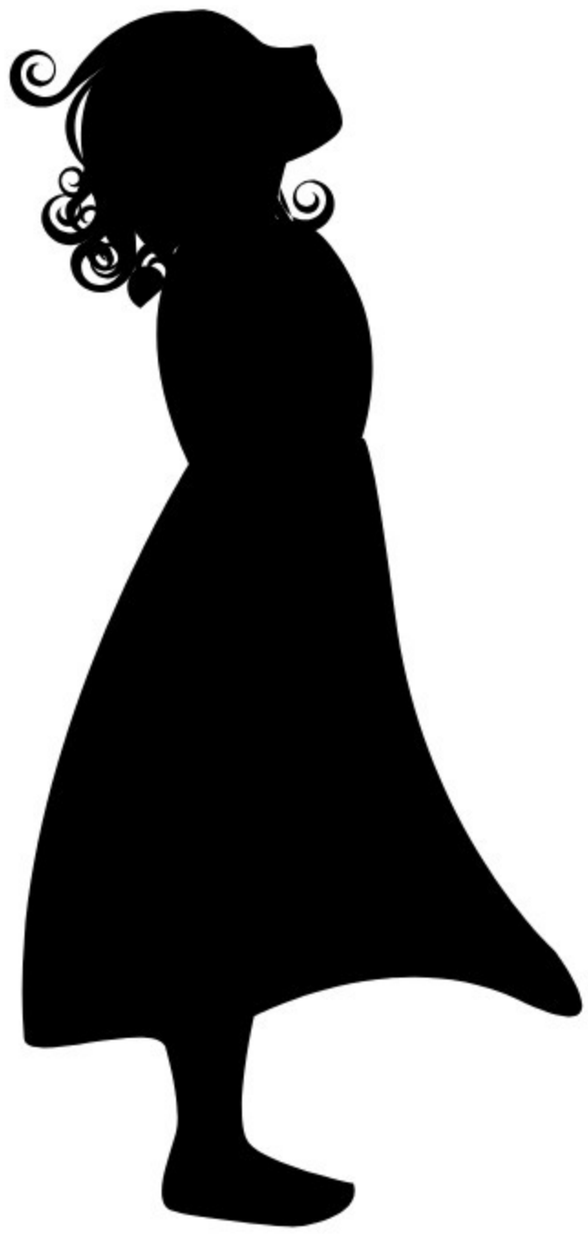

هنا كانت نهايةُ الرواية، وعلى الرغم من أنها قصيرة، إلَّا أنها قادرةٌ على تركِ بصمةٍ واضحةٍ وتأثيرٍ داخلكم، وأنا على أمل بذلك. أتمنى أن يكون هذا العمل قد نال إعجابكم، وبإذنِ المولى الكريم، سيكون هناك أعمالٌ جديدةٌ قريبًا. انتظروا كلَّ جديد، فأنا معكم وإلى النهاية، لِنُحقِّق الفائدة والنجاح للجميع، بإذن الله تعالى.

بقلم الكاتبة: رغد اللطيف.

المعاناة قد تجعلك تبدو أكثرَ قوّةً وصلابةً أو أكثرَ ضعفًا وهزيمةً. لكَ الخيارُ: إمّا أن تكون الأقوى والأكثرَ تأثيرًا على الآخرين، أو أن تكون الأضعفَ والأهزمَ أمام منافسيك. القرار بين يديك.

الكاتبة : رغد اللطيف

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى.

روزا بيلا، ابنتي، ما زال صوتكِ الجميلُ ينبضُ في كلِّ أنحاء المنزل، وم زالت أنفاسكِ ترافقني في سريري لأستشعرَ وجودكِ بجانبي
خبأتكِ يا صغيرتي في قلبي وفي منزلي، وأعطيتكِ أعظمَ شيءٍ فقدتِه، وهو الأمان. منحتكِ الحبَّ والاهتمام،كيف لي أن أقبلَ حياتي بعد رحيلكِ؟

سلامًا إليكِ يا صغيرتي الغالية، وسلامًا إلى عينيكِ التي ذبلتْ من الخوف، أحرَّ السلام

سنة النشر:2024

الكاتبة : رغد اللطيف